الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
BADJI Mokhtar-Annaba University
Université BADJI Mokhtar-Annaba
جامعة باجي مختار-عنابة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجية في مقياس

النص الشعري القديم
(جاهلي وأموي)

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص أدب عربي قديم

إعداد: الدكتورة هجيرة لعور

السنة الجامعية 2003 - 2024

تقديم:

يتمثل هذا العمل في مجموعة من المحاضرات في مقياس "**النص الشعري القديم (جاهلي وأموي)**" التي قدمتها طيلة سنوات لطلبة الليسانس (كلاسيك) بصيغة (**أدب جاهلي وأموي**) ثم قدمتها لطلبة الماستر، نظام LMD، السنة الأولى، تخصص: (أدب عربي قديم). بقسم اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب واللغات، جامعة باجي مختار - عنابة.

وقد شملت هذه المحاضرات أهم مفردات ومحاور هذا المقياس. وتعتبر هذه المادة من أهم المواد التي تدرس لطلبة الماستر1، تخصص: أدب قديم؛ حيث تساهم في تكوين الطالب من حيث التعمق أكثر في قضايا النص الشعري القديم، بعد أن كان قد درس هذه المادة في سنوات سابقة ولكن بصورة مبسطة. ولهذا جاءت مادة هذه المحاضرات معمقة، ودسمة؛ حيث تعمقت في الاشتغال على النص الشعري من الخارج، أي ما يخص البيئة التي أنتجته والعوامل التي أسهمت في تطوره. ومن جهة أخرى تعمقت في النص الشعري كتركيبة مكتملة. كما توسعت في رصد الشواهد الموضحة لكل تمفصلات المحاضرة الواحدة. وقد راعيت التسلسل التاريخي لتطورات النص الشعري عبر الحقب الزمنية والمتمثلة في العصر الجاهلي، وعصر صدر الإسلامي والعصر الأموي.

كما استندت في إعداد هذه المادة على الكثير من المصادر والمراجع المتخصصة. منها أمهات الكتب، والدواوين والمراجع القديمة والحديثة. وقد أنجزت في هذا المقياس أربعة عشرة محاضرة كما جاءت في المنهاج المقرر للمادة.

المحاضرة الأولى:

النزعة القبلية في الشعر الجاهلي

(عمرو بن كلثوم، زهير، طرفة، النابغة).

1. مفهوم النزعة لغة:

قال ابن منظور في مادة (نزع):"نازعني نفسي هواها نزاعا غالبتني، ونزع الإنسان إلى أهله، والبعير إلى وطنه ينزع نزاعا، ونزوعا، حن واشتاق، ورأيت فلانا متنزِّعا إليَّ كذا أي متسرعا نازعا إليه"[1].

قال الفيروزآبادي:"النزوع الذي يحن إلى وطنه، ويشتاق، ويقال نازعته نفسه إلى الشيء، أي دعته إليه"[2].

2. مفهوم النزعة القبلية:

أسهمت البيئة العربية قديما في خلق تكتلات اجتماعية متكاملة البناء داخليا، متفرقة الأواصر خارجيا مع غيرها، وهي القبائل؛ حيث تلتف القبيلة برئاسة شيخها، على أفرادها أحرارا كانوا أم عبيدا. تحميهم وتدود عنهم في النوازع. وبالمقابل يلتف الأفراد حول قبيلتهم يخدمون مصالحها ويدودون عن حماها.

وبالتالي تشكلت بين القبيلة وأفرادها، إلى جانب صلة الدم، وصلة النسب، صلة معنوية وطيدة هي النزعة القبلية أو العصبية القبلية. وهي رابط اجتماعي وطيد بين القبيلة

---

1 . لسان العرب، ابن منظور، مادة "نزع".

2 . القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة "نزع"

وأفرادها. يجعلهم يجهرون بالولاء المطلق لقبيلتهم بمنتهى التفاني الذي عرف عليه الرجل الجاهلي"وكما كانت القبيلة تلزم الفرد بالانتماء إليها، والخضوع لقوانينها، كانت هي بكل ما تملك تهب لحمايته ونجدته، والوقوف بجانبه إذا أصابه ضيم، أو مسه أذى. فنتج عن هذا النفع المتبادل بين الفرد وقبيلته ما هو معروف ضمنا بالعقد الاجتماعي، هذا العقد ربط بين القبيلة وأبنائها، وبعث فيهم روح العصبية القبلية"[1]، التي عبر عنها دريد بن الصمة في قوله:

"وهلْ أناَ إلاَّ من غزيةِ إنْ غَوتْ *** غَويتُ وإنْ تَرشُدْ غزيةُ أَرْشُدِ"[2]

ومما سبق، نجد أن قوة العصبية القبلية تعتمد رابطتي الدم والنسب لكن "توجد كذلك روابط أخرى، كالأحلاف، والولاء والجوار، إنما بدرجة أقل"[3].

وينظر علم الاجتماع الحديث للنزعة القبلية على أنها حاجة ملحة في الإنسان من أجل الانتماء إلى مجموعة تحتويه، وتحقق ذاتيته "إن الإنسان كائن اجتماعي، وهو في سائر حياته في أشد الحاجة إلى أن ينتمي إلى جماعة أو أكثر. ليندمج فيها ويتكيف معها في تجانس وانسجام وتوحد. ويلتمس فيها التقدير والاعتبار وهذه الحاجة تبدأ بالعائلة أو الأسرة لتتوسع إلى العشيرة والقبيلة"[4].

---

1 . حنفي محمود مصطفى، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، المجلد8، العدد1، 2004. ص: 274.

2 . الأغاني للأصفهاني شرح الأستاذ: عبد علي مهنا، مج: 10، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ص:11

3 . جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة بغداد، ط2، بغداد، 1993، ج4، ص:392.

4 . محمد الهادي حاجي، النزعة القبلية في علم الاجتماع، (2021/2/5). m.aewar.org

وكان لكل من البيئة الجغرافية والسلوك الاجتماعي الدور الحاسمة في توطيد ولاء الفرد لقبيلته "لقد تحكمت البيئة الجغرافية والسلوك الاجتماعي في ترسيخ مفهوم العصبية القبلية بين أفراد القبائل العربية قبل الإسلام، فالانتماء عن الفرد العربي لا يتعدى القبيلة التي تضمه. فهو يرى فيها الوطن والمأوى والنسب، وبالتالي ظل متقوقعا ومنعزلا في قبيلته لاسيما أن العوامل الجغرافية والمناخية القاسية ساعدت في تعزيز هذا الوضع وأصبح بذلك حجم التواصل بين القبائل محدودا. ويطغى عليه الجانب السلبي، لهذا كانت تقوم الحروب لأبسط الأسباب"[1].

3 . النزعة القبلية في الشعر:

وانعكس هذا العقد الاجتماعي على نتاج الشعراء الجاهليين. وبرز في شعرهم هذا الولاء المطلق للقبيلة. وكما تحتفل القبيلة بنبوغ ابنها الشاعر، يحتفي الشاعر بقبيلته، وتتماهى ذاته الفردية في الذات الجماعية للقبيلة. فحين أنشد حسان بن ثابت بيتين له من الشعر قال فيهما:

لنا الجفنات الغُرُّ يلمعن بالضُّحى*** وأسيافُنا يقطُرن من نجدةٍ دماَ

ولدْنا بني العنقاءِ وابنَيْ مُحـــــرِّقٍ *** فأَكرمْ بناَ خالاً وأَكرِم بنا ابْنَماَ

وهنا حسان يفخر بقومه اليمانيين وكرمهم، وأن لهم جفان ضخمة . أي أوعية ضخمة للطعام . تنصب في الضحى ليأكل منها الناس. وفي نفس الوقت فهم شجعان وأسيافهم تقطر من كثرة نجدتهم للناس. وبالتالي بفضل العصبية التي تحكم الشاعر تجاه

---

1 . علي الحربي، فيصل أحمد فيصل عبد الحميد، العصبية القبلية سلوك فردي أم ظاهرة اجتماعية وسياسية، جريدة المقدمة، جريدة الدراسات العليا دراسات اسلامية، (التاريخ والحضارة)، جامعة الملايا، العدد:5، جوان 2017. ص:2.

فبيلته، فإنه يتغنى بها وبخصال أفرادها وبطولاتهم.ثم يفخر بأهم أهل لهذين الحيين (بني العنقاء) و(ابني محرق)، فأكرم بنا نحن الأخوال وأكرم بالأبناء.

وحين وجه له النابغة نقده، أعاب عليه فخره بمن ولد ولم يفخر بمن ولده؛ حيث قال له: فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك"[1]. ومن عادة العرب أن يفخر المرء بآبائه، ويدع لأولاده الفخر به. وهذا من ولاء العرب للآباء والأجداد. وتحكمه العصبية القبلية التي أساسها الدم والنسب.

ومن بين النماذج الشعرية التي ارتفعت فيها حدة الصوت الجماعي، معلقة شاعر غلب، عمرو بن كلثوم، حين أراد ملك الحيرة إذلاله،

يظهر أن الملك عمرو بن هند أضمر للشاعر عمرو بن كلثوم الحقد لما رأى عنده من شدة فخر، وتباهٍ، وتشامخ، فأراد أن يذله بإذلال أمه، ورُوي أنه قال ذات يوم لندمائه: هل تعلمون أحدًا من العرب تأنف أمه من خدمة أمي؟ فقالوا: نعم! أم عمرو بن كلثوم. قال: ولِمَ؟ قالوا: لأن أباها مهلهل بن ربيعة، وعمها كليب وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو، وهو سيد قومه. فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره، ويسأله أن يزير أمه، فأقبل عمرو من الجزيرة إلى الحيرة في جماعة بني تغلب، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظعن من بني تغلب. وأمر عمرو بن هند برواقه، فضرب فيما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته، فحضروا في وجوه بني تغلب. فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه، ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق، وكانت هند عمة امرئ القيس بن حجر الشاعر، وكانت أم ليلى بنت مهلهل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أم امرئ القيس، وبينهما هذا النسب، وقد كان عمرو بن هند أمر أمه أن تنحي الخدم إذا دعا بالطُّرَف، وتستخدم

---

1 . أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج9، طبعة دار الفكر، ص:384

ليلى. فدعا عمرو بمائدة، ثم دعا بالطرف فقالت هند: ناوليني يا ليلى ذلك الطبق. فقالت ليلى: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فأعادت عليها، وألحت، فصاحت ليلى: وأذلاه! يا لتغلب! فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه، ونظر إليه عمرو بن هند، فعرف الشر في وجهه، فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيف لعمرو بن هند معلق بالراق ليس هناك سيف غيره، فضرب به رأس عمرو بن هند، ونادى في بني تغلب، فانتهبوا ما في الرواق، وساقوا نجائبه، وساروا نحو الجزيرة. وقال معلقته الشهيرة:

أَبا هِندٍ فَلا تَعجَل عَلَينا*** وَأَنظِرنا نُخَبِّرْكَ اليَقينا

بِأَنّا نوردُ الراياتِ بيض*** وَنُصدِرُهُنَّ حُمراً قَد رَوينا

وَأَيّامٍ لَنا غُرٍّ طِوالٍ*** عَصَينا المِلكَ فيها أَن نَدينا

وَسَيِّدِ مَعشَرٍ قَد تَوَّجوهُ*** بِتاجِ المُلكِ يَحمي المحجَرينا

تَرَكنا الخَيلَ عاكِفَةً عَلَيهِ*** مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَها صُفونا

وَأَنزَلنا البُيوتَ بِذي طُلوحٍ***إِلى الشاماتِ تَنفي الموعِدينا

وَقَد هَرَّت كِلابُ الحَيِّ مِنّ*** وَشذَّبنا قَتادَةَ مَن يَلينا

مَتى نَنقُل إِلى قَومٍ رَحان*** يَكونوا في اللِقاءِ لَها طَحينا

وجسدت هذه القصيدة المثال الأسمى للنزعة القبلية لدى الشاعر الجاهلي، فهذه القصيدة الطويلة التي ارتفع فيها الصوت القبلي، وسيطرت العصبية القبلية على روح قائلها تعد صورة من أشهر الصور الدالة على التفاني المطلق لشاعر القبيلة في قومه واندماجه التام في جماعته. حيث تتماهى ذاته في ذات القبيلة، وخير مثال على ذلك

تعبيره بذات الجماعة الذي طبع القصيدة من أولها إلى آخرها. وعلى سبيل المثال لا الحصر الكلمات التالية: (بأناَّ، عصياَ، ترناَ، أنزلناَ...).

وهذا ما أفصحت عنه معاني هذه القصيدة، التي افتخر فيها شاعرنا، بجد قبيلته (تغلب) وافتخر بأحسابهم وأنسابهم، وأيامهم وانتصاراتهم، وبطولاتهم، وحرصهم الدائم على الفضائل التي رفع بها قومه فوق الناس أجمعين، فانحنى لهم جميع الناس بصفة عامة، والجبابرة والعتاة بصفة خاصة"[1].

وتظهر عصبية الشاعر، وولائه لقومه في استعماله ضمير النحن حيث جاء الحديث ب "نا" التي تعود على الجماعة (أي القبيلة) وحتى أنه كررها في البيت الواحد أكثر من مرة، حيث قال:

ونَحنُ التَّارِكُونَ لِمَا سَخِطْنَا***ونحنُ الآخِذُونَ لِمَا رَضِينَا

4. ملخص مظاهر العصبية القبلية:

. الفخر بالأحساب والأنساب.

. الفخر بالانتماء إلى الأرض والعرق.

. الفخر بالانتماء إلى الأحزاب والقبائل.

. التقسيم الطبقي للمجتمع.

. تعيير الآخرين في خلقهم وأشكالهم.

---

1 . حنفي محمد مصطفى، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، ص: 278.

. نصرة أفراد القبيلة في الحق والباطل.

5. النزعة القبلية في صدر الإسلام:

رفض الإسلام ما كان سائدا في العصر الجاهلي من عصبية قبلية مبالغ فيها. وحاربها بشدة، وجعل الفرد يتعصب لأمة الإسلام جمعاء لا لقبيلة أو نسب بعينه. وأصبحت حمية الفرد تثور وتتأجج من أجل الدفاع عن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين. ولم يعد هناك تمايز بين الفرد وأخيه في النسب أو اللون، إنما المؤمنون إخوة، والمعيار الوحيد الذي نفرق به بين هذا وذاك هو التقوى، لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1]. وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لا فرق بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى". فقد اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم بمسألة العصبية وفق إطار ديني وأخلاقي. حيث أقر ما يتماشى مع الإسلام وألغى ما يتعارض معه. وهذب ما يمكن تهذيبه.

---

1 سورة الحجرات، الآية:13.

المحاضرة الثانية:

(عالم القيم في الجاهلية: السموأل)

. توطئة:

عُرِفَ العصر ما قبل الإسلام بعصر الجاهلية، وهي ليست جاهلية عِلْمٍ بل هي جاهلية حِلْمٍ، وجاهلية عقلٍ. حيث يعيش فيها المجتمع حياة سن القوانين على هوى السيد أو شيخ القبيلة، ولا صوت للضعيف فيها. وعلى الفرد الاستسلام لقوانينها ولو كانت جائرة. وأجازت القوانين الكثير من الموبقات والكثير من التصرفات التي لا تمت للإنسانية والرحمة بصلة، ملتمسين في ذلك الذرائع أو غير ملتمسين. فكانت البنت توأد بدم بارد خشية العار .كما يزعمون . وكان الرجل يستدين بالربا، ولا يستطيع تسديد دينه مع مبلغ الربا حتى يولد الحفيد ويجد نفسه مُدَانا بالمال عِوَض جده وأبيه. وكان العبيد والإماء يباعون في سوق النخاسة، ويعذبون دون أدنى حق في الاعتراض. وكان الرجل يتزوج ما شاء من النساء عددا حتى أنه إذا مات يتوارث أبناؤه زوجاته كما يتوارثون المال إلا أن يتزوج الابن أمه. وكانوا يعبدون الأصنام ويقدسونها، ويقدمون لها القرابين تَزَلُّفًا.

. القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي:

كثيرة هي مظاهر الجاهلية التي سادت العصر، لكن على الرغم من ذلك، فإن هناك جانبا مضيئا فيها تمثله القيم والأخلاق التي طبعت الحياة الاجتماعية الجاهلية، وعُرِفَ العربي بها، فكانت محل افتخاره ومدار تباريه فيها. وكان فخره منصبا على ذكرها، وهجاؤه مرتكزا على شحها عند خصمه.

وحين كانت العرب تفتخر بذلك في شعرها، لم تكن مجرد صفات يتفاخرون بها بل كانت بمثابة مبادئ ساروا عليها والتزموا بها منذ عقود من الزمن، "فالعرب لما كانوا من صميم البداوة، وفي إقليم كأنه بموافقته لنمو العقل أقرب إلى السماء من سواه، كانوا يذكرون الصفات الأخلاقية للفرد والمجتمع فلا يعدون حقيقة الصفة؛ ولو أُخِذت تلك الصفات اليوم لخرجت عن موضوعها إلى أن تكون في اعتبارنا مبادئ، لأنها قيلت في حالة طبيعية. فكانت صفة حقة، ولما استدار الزمان صارت حقا يوصف.. وكان الشعراء من العرب أثبت الناس على أخلاقهم التي يصفونها، ولذلك دلت عليهم دلالة المطابقة"[1]

1. الكرم:

على الرغم من شظف العيش في البيئة الصحراوية العربية القديمة، وعلى الرغم من صعوبة كسب العيش، وشح الطبيعة في توفير الغذاء، إلا أن صفة الكريم جاءت نقيضا لكل هذا وكانت هي الصفة الطاغية على صفات العربي الجاهلي، بل كانت العرب تتبارى فيمن هو أكرم وأسخى وفيمن هو أسرع لإكرام الضيف وعابر السبيل والمستجير.

والكرم هو"رد فعل إيجابي على قساوة الحياة وشظف عيشها، وكان صراع في الجاهلية بين الحاجة والواقع، فالجاهلي مُلزَمٌ، استنادا إلى ظروفه الذاتية والموضوعية، أن يكون كريما، حيث الطبيعة الصحراوية وشدة الجدب، والكرم ليس بدعا من القيم الجاهلية الأخرى، بحيث أضحت وفرة الفضائل وتنوع المآثر من سمات التميز التي اصطبغت بها فطرته، فكان يتباهى بكثرة الضيوف، وذبح الإبل وإطعامها للمحتاجين. والكريم في الجاهلية هو من أعطى فحرم نفسه وبذل من نصاب حاجته الضرورية وهو الكثير الخير.

---

1 . مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2000، ص: 104.

والجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، والكرم أحد مظاهر السيادة، قال حاتم الطائي:

يقُولُونَ لي أَهْلَكْتَ مالَك فاقتصِدْ**وماَ كمتُ لولاَ ما تقُولُونَ سيدا"[1]

وكان الكرم عندهم أن يعمد أحدهم إلى مطيته فيعقرها ويقدمها طعاما بنفس طيبة، بل يفتخر بأنه فعل ذلك بمطيته الوحيدة، وأنها كانت وفيرة. وها هو امرئ القيس، يصفها بذلك يوم نحرها لحبيبته فاطمة وصاحباتها. حيث قال:

ويومَ عَقَرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتي** فياَ عجباً من كُورِهاَ المتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهاَ**وشَحْمٍ كَهُذَّابِ الدِّمَقْسِ المفَتَّلِ

فهن حملن متاعها معه لأنها ناقته الوحيدة وليس له غيرها، كذلك أخذن يتراشقن بلحمها طوال النهار، لأنهن أكلن وشبعن لوفرتها، وذكر كذلك شحمها بأنه وفير كالحرير المفتول. وبالتالي هو افتخار بكرمه لأجل حبيبته "ويظهر الكرم في البدوي حين يبدي استعداده لنحر ناقته، وتقديمها طعاما للضيف أو لإطعام الفقراء والمساكين"[2].

ويفتخر الجاهلي بمبالغته في إكرام ضيفه، بكثرة الجفنات التي يقدم فيها الطعام، حيث قال حسان بن ثابت:

لَناَ الجَفَناَتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُحَى**وأَسْياَفُناَ يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَماَ

---

1 . محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص: 190.

2 . حتى فيليب، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط3، 1961، ص:131

ولأن الجاهلي يفضل المبالغة في الفخر، فقد استحسن النابغة ذلك، لكنه أعاب عليه أنه ذكر الجفنات ولم يذكرها بصيغة جمع الكثرة، فقال له: لقد أقللت جفناتك، ولو قلت الجفان لكان أفضل.

وافتخر الشاعر بكرمه في شرب الخمر، لأن البخيل سيتساوى بالكريم عند موته، ولهذا فهو يروي نفسه في حياته. حيث قال طرفة بن العبد:

كَرِيمٌ يُرَوّي نَفْسَهُ في حياَتِهِ**سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْناَ غَداً أَيُّناَ الصَدي[1]

ومن مظاهر كرمهم إيقاد النيران ليلا وبخاصة في الليالي الباردة لتمكين الغرباء من الاهتداء إلى الأماكن التي يقطنونها، وكانت توقد على المرتفعات. قال مضرس بن ربعي:

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما**كسى الأرض نضاح الجليد وجامده[2]

وأجود أهل الجاهلية حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي الذي وصلت سمعته عنان السماء لتفانيه في الجود والكرم، يأتي بعده كل من هرم بن سنان المري، وكعب بن مامة الإيادي. وقد اشتهرت قصة حاتم الطائي في جوده وكرمه لضيفه أنه نحر له ناقته الوحيدة الذي جاء يبتغي شرائها. وكان يعتز بأنه عبد الضيف، فيقول في ذلك:

وإنيِّ لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَادامَ ثَاوِيًا**ومَا فيَّ إلاَّ تِلْكَ مِنْ شيِمَةِ العَبدِ[3]

---

1. الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 118.
2. محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص:191.
3. الألوسي، ج1، ص: 289.

2. الشجاعة:

عرف الجاهلي بالشجاعة والإقدام، لا يتوانى أبدا أن يكون في طليعة القوم ما إن نادى المنادي للحرب. وكان الشاعر يفخر بذلك، وأن الجبن ليس من شيمه. بينما يلحقه بعدوه. وها هو الشاعر عمرو بن كلثوم يقول:

ولستُ بِحَلاَّلِ التِّلاعِ مخَافَةً**ولكنْ مَتَى يسترفدِ القَوْمُ أَرْفِدِ[1].

وقد "اتصف العرب الجاهليون بالشجاعة والبأس وعدم المبالاة بالموت، إما دفاعا عن القبيلة التي ينتسبون إليها، أو عن النساء، وصونا لهن من المهانة وذل السبي"[2]. وها هو عمرو بن كلثوم، يصور لنا رحى الحرب على العدو كالرحى للقمح تصيره طحينا، لشدة شجاعته وقومه:

متىَ نَنْقُلُ إِلىَ قَوْمٍ رَحاَناَ**يَكُونَوا فِي اللِّقاَءِ لَهاَ طَحِيناَ[3]

3 . العفة:

ظاهر الحياة الجاهلية هو الفجور واللهو ومغازلة النساء وتصوير وصالهن بصورة مفصلة عند بعض الشعراء، لكن هنالك من عرب الجاهلية من اتسم بالعفة، وعُرف باجتناب الأعراض وصونها، وغض النظر عن نساء غيره. ودليل ذلك أن المرأة الحرة كانت إذا سافرت سافرت في هودجها، وإذا مكثت مكثت في بيتها أو خيمتها. و"كانت عفة العربي هي شرفه، وهي من شروط السيادة كالشجاعة والكرم، وقد عُرِفَ الرجل الذي يتأثر بالنساء في مسيرهن، ويجعل همه ابتغاء المهينات منهن، جبان، ساقط

---

1 . الزوزنين شرح المعلقات السبع، ص: 112.

2 . محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص: 192.

3 . الزوزني، مصدر سابق، ص: 47.

الهمة، مغمور العرض، لأن مغالبة النفس، وقمع الهوى أدل على الشجاعة، وكانوا يقولون: "ليس سيدا من غلبته شهوته""[1]، قال عنترة بن شداد:

وأَغُضُّ طَرْفِي ماَ بَدَتْ لِي جارَتِي**حتى يُوارِي جارَتِي مَأْواَهاَ

إِنِّي امرؤٌ سَمْحُ الخَليقَةِ ماَجِدٌ**لاَ أَتْبَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَواهاَ[2]

4 . الوفاء:

ليس الوفاء شيمة المؤمن فحسب، وكم من مؤمن خان عهده، وأضاع أمانة من استأمنه، إنما الوفاء من شمائل العرب منذ الجاهلية، وخاصة الوفاء بالعهود. وكان أكثر ما يكره الجاهلي نقض العهد ومن يفعل ذلك يتعرض للتشهير وللهجاء، أما الوفاء فهو خصلة يفتخر بها الفرد الجاهلي.

والوفاء هو علامة الإخلاص والعطاء وحفظ العهد.وقد ذُكِرَ في الأغاني، أن "السموأل أُأْتُمِنَ على أَدْرُعِ الشاعر امرئ القيس، فلما وجه المنذر الحارث بن ظالم في خيل وأمره بأخذ مال امرئ القيس من السموأل، وكان له ابن ـ أي السموأل ـ قد يفِعَ، ثم قال للسموأل: أعرف هذا؟ قال نعم هذا ابني، قال: أفتسلم ما قبلك أم أقتله. قال شأنك به فلست أخفر ذمتي ولا أسلم مال جاري، فضرب الحارث وسط الغلام فقطعه قطعتين وانصرف عنه، فقال السموأل في ذلك:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الكِنْدِيِّ إِنِّي**إِذاَ ماَ ذُمَّ أَقْواَمٌ وَفَيْتُ"[3]

---

1 . محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، 194.

2 . الصباح، محمد علي، عنترة بن شداد، حياته وشعره، ص: 179.

3 . الأغاني، الأصفهاني، مج22، ص: 125.

وقد أعده ابن سلام الجمحي من فحول الشعراء، وندل قصيدته اللامية على ما يتحلى به من وفاء وشهامة، يقول في أبيات منها[1]:

إِذاَ المرْءُ لَمْ يَدْنَسْ من اللُّؤمِ عِرْضُهُ

فَكُلُّ رِداَءٍ يَرْتَدِيـهِ جَميـــــلُ

وإِنْ هو لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهاَ

فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَناَءِ سَبيلُ

تُعَيِّرُنـــــاَ أَنَّـــا قَلِيلٌ عَدِيدُنَـــــا

فَقُلْتُ لَهاَ إنَّ الكِرَامَ قَلِيـــــلُ

وماَ قَلَّ منْ كاَنَتْ بَقاَياَهُ مِثْلُنـــــــا

شَباَبٌ تَسَامَى لِلْعُلىَ وكُهُولُ

وماَ ضَرَّناَ أنَّا قَليـــــــلٌ وجاَرُنَـــــا

عَزِيزٌ وجاَرُ الأَكْثَرِينَ ذلِيــلُ

وقصة أخرى في الوفاء، هي "قصة وفاء هانئ بن مسعود الشيباني لودائع النعمان بن المنذر وتتضمن ماله وأهله وولده، وألف شكة ويقال أربعة آلاف. وقد أدى وفاؤه، من واقع عدم تسليم الأمانة إلى كسرى عندما طالبه بذلك؛ إلى قيام الحرب بين العرب والفرس في ذي قار"[2].

---

1 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ط1، ج1، 1995، مصر، ص 389.

2 . الأصفهاني، الأغاني، ج24، ص: 60/59.

كذلك ضُرب المثل في الوفاء ب"وفاء حنظلة بن عفران الطائي، إذ حكم عليه المنذر بن امرئ القيس، المعروف بابن ماء السماء، بالموت لأنه مر بالحيرة في بعض أيام بؤسه، فطلب تأجيل الحكم مدة سنة ليرجع إلى أهله فيحكم فيهم بما يريد ثم يعود إليه فينفذ فيه أمره. وتكفل به شريك بن عمرو إذا لم يعد بعدها قتل مكانه. وعندما انتهى الأجل جلس المنذر في مجلسه في يوم بؤسه ينتظر حنظلة، فأبطأ عليهم، فقُدِّم شريكه ليُقتل، فلم يشعر إلا وراكب قد طلع، فإذا هو حنظلة وقد تحنط ومعه نادبته تندبه، فتعجب المنذر من وفائه، فأطلق سراحه وعفا عنه، فقال حنظلة في ذلك:

وَقَدْ دَعَتْنِي للْخِلاَفِ عَشِيرِتِي**فعَددتُ قَوْلَهُمو من الأضْلاَلِ

إِنِّي امرؤٌ منِّي الوَفَاء سَجِيَّةً**وفِعَالُ كُلِّ مُهَذَبِ مِفْضاَلُ"[1]

ولا تقتصر القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي على هذه التي ذكرتها آنفا، بل هي قيم كبرى تندرج تحتها الكثير من القيم والخصال من إكرام الضيف وإغاثة الملهوف، والإيثار، وحماية المستجير، ونصرة المظلوم وغيرها كثير.

---

1 . الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، ج4، بيروت، 1979، ص: 199

المحاضرة الثالثة:

النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي

(امرؤ القيس، الأعشى، عنترة)

قال ابن منظور في مادة (نزع):" نازعني نفسي هواها نزاعا غالبتني، ونزع الإنسان إلى أهله، والبعير إلى وطنه ينزع نزاعا، ونزوعا، حن واشتاق، ورأيت فلانا متنزَّعا إليَّ كذا أي متسرعا نازعا إليه"[1].

قال الفيروزآبادي: "النزوع الذي يحن إلى وطنه، ويشتاق، ويقال نازعته نفسه إلى الشيء، أي دعته إليه"[2].

أما عن الذاتية، فقد قيل: "ذات الشيء حقيقته، وخاصته. يقال عيب ذاتي، جبلي، وخِلقِي، والنفس والشخص، يقال في الأدب: نقد ذاتي، نقد يرجع إلى آراء الشخص وانفعالاته، ويقال: فلان بذاته وعينه"[3].

ويرى بعض الأدباء، والنقاد المحدثين: "أن الشعر الذاتي هو الذي يصور نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف وأحاسيس، سواء حين يتحمس الشاعر، ويفتخر، وحين يمدح، ويهجو، أو حين يتغزل أو يرثي، أو حين يعتذر، ويعاتب، أو حين يصف أي شيء مما ينبت حوله في جزيرته"[4].

---

1 . لسان العرب، ابن منظور، مادة "نزع".

2 . القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة "نزع"

3 . مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1980، ص242.

4. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، مطبعة دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص190.

لقد عرف الشاعر الجاهلي بحبه لقبيلته، وولائه المطلق لها. حتى أن ذاتيته انصهرت في ذات الجماعة (قبيلته) في عموم شعره، لا يرضى إلا بما يرضيها، ولا يهرع إلا لنجدتها، ولا يدود إلا عن حماها، ولا يسر إلا بما يسرها. وكأنه قد وقع ميثاقا اجتماعيا صارما لا يحيد عنه أبدا. لكن على الرغم من ذلك فإنه لم يلغي ذاتيته إلغاء مطلقا، فهو السيد في ما يتعلق بشؤونه الشخصية، من حب، وفلسفة، وحزن، وحماسة. "يظهر في الشعر ذا شخصية متفردة، وذات مستقلة، وتفكير متميز، وذلك من خلال حديثه عن حياته الخاصة، وعن عواطفه الذاتية، سواء أكانت تجاه قبيلته، أم تجاه المرأة التي يحبها، أم تجاه أصدقائه وخصومه"[1].

1 . مظاهر النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي:

وخير مثال على ذلك الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، الذي طبعت ذاتيته على معلقته، حيث وقف واستوقف الأصحاب للبكاء على الأطلال. ثم تغزل وذكر حواره مع محبوبته ابنة عمه فاطمة. بعدها وصف ليله المليء بالهموم، من ثم وصف رحلته ووصف خلالها حصانه القوي، الأصيل اعتدادا بنفسه، وافتخارا بفروسيته، وصولا إلى وصف رحلة الصيد، ليختم بوصف الطبيعة الممطرة في منطقة كتيفة. يقول امرؤ القيس:

قِفاَ نبكِ من ذكرىَ حبيبٍ ومنزلِ**بِسقْطِ اللِّوىَ بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ألاَ رُبَّ يومٍ لَكَ مِنهُنَّ صَالحٍ**وَلاَسِيمَا يومٍ بدارةِ جُلْجُلِ

ويومَ دخَلتُ الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ**فقالتْ لكَ الويلاتُ إنَّكَ مُرجِلي

فقلتُ لهاَ سِيرِي وأَرخِي زِمَامَهُ**ولاَ تُبعِدِينِي منْ جَنَاكِ المعلَّلِ

---

1 . عبد الغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد 37، ديسمبر 1989، ص:09.

أغرَّكِ مِنيِّ أنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي** وأنَّكِ مهمَا تأْمُرِي القلبَ يفعَلِ

وليلٍ كمَوْجِ البحرِ أرخىَ سدولَهُ***عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

ووادٍ كجوفِ العِيرِ قفرٍ قطعتُه**بِهِ الذِّئْبُ يعوِي كالخَليعِ المعَيَّلِ

وقدْ أغْتَدِي وَالطَّيرُ فِي وُكُنَاتِهَا**بِمُنْجَرِدٍ قيدِ الأوابدِ هَيْكَلِ

كُمَيتٍ يزِلُّ اللِّبدُ عنْ حالِ مَتْنِهِ**كَمَا زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمتنزِّلِ

فَبَاتَ عليهِ سِرجُهُ ولِجَامُه**وَبَاتَ بِعيني قائمًا غيرَ مُرسلِ

فتظهر معالم النزعة الذاتية في شعر امرئ القيس جلية، حيث تفرد بالحديث عن ما تختلج به نفسه (قفا نبكِ)، وعن تغزله بحبيبته (فقلت لها سيري) وتحدث عن معاناته هو (وليل كموج البحر أرخى سدوله عليَّ)، وعن مغامرته هو (وقد أغتدي والطير في وكناتها)، وعن افتخاره وتمدحه بفروسيته (وواد كجوف العير قطعته...وقوله: كميت يزل اللِّبد عن حال متنه) بينما هو لا يزل لقوة فروسيته.

2 . أسباب الخروج عن القبيلة:

أ . الخلاف مع القبيلة:

إضافة إلى ما سبق، هنالك شعراء غلبت عليهم النزعة الذاتية، بسبب دافع ذاتي، هؤلاء تغضب عليهم القبيلة فتدير وجهها عنهم، وبالتالي يفردهم إفراد البعير المعبد. أو يغضب هؤلاء الشعراء من قومهم لسبب ما، قد يكون تعسفا أو ظلما في حق من حقوقهم. لكنهم على الرغم من ذلك لا يتنكرون لنسبهم ولا إلى انتمائهم لقبيلتهم. بل يعاتبون ويهددون بالانسحاب، ولكن قلوبهم تحت للعودة، ويعلنون جاهزيتهم لنجدتها إن هي طلبت منهم ذلك. وخير دليل على هذا الشاعر، عمرو بن قميئة "الذي أبعدته

القبيلة رغما عنه فعانى ما عاناه من صراع نفسي يقوم بين حبه لقومه الذين دفعوه إلى النزوح عنهم، وبين إبائه وكرامته وعزته التي أبت عليه أن يكون هدفا لسهام الضغينة والحقد التي يرميه بها الكاشحون"[1]. فأعلن حفاظه على كرامته وعزة نفسه وقرر الفراق. وفي نفس الوقت حافظ على نسبه وولائه لقبيلته، حيث قال:

على أنَّ قومي أَشْقَذُوني فأصبحتْ***دياري بأرضٍ غير دانٍ نُبُوحُها

تَنَفَّذ منهم نافِذاتٌ فَسُؤْنَنِي***وأضمرَ أضغاناً عليَّ كُشُوحُها

فقلتُ: فِراقُ الدارِ أجملُ بَيْننا***وقدْ ينْتَئِي عن دارِ سَوْءٍ نزيحُها

علَى أَنَّني قدْ أدَّعِي بأبيهِمُ***إذا عمَّتِ الدَّعوَى وثابَ صريحُها

وهنالك من الشعراء من يغضب من قومه وتثور ثائرته عليهم، لأنه إذا ما ظُلِمَ أو أُغِرَ عليهِ وطلب منهم النجدة فإنهم لا يهرعون لمؤازرته، استحقارا منهم له. أو لضعفهم وجبنهم. وبالتالي تثور ثائرته ويسخط عليهم ويهجوهم. وخير مثال على ذلك، الشاعر: قُرَيْطُ بن أُنَيْفٌ العَنبَرِي. إذ أغار عليه بنو اللَقِيطة واستاقوا إبلا له، فاستنجد قومه فلم ينجدوه، واستنجد أقرباء بعيدين له من بني مازن فأنجدوه، أغاروا على بني لُقَيطة وأعادوا عليه أكثر من الإبل التي فقدها، فقال يمدحهم، ويذم قومه، ويسخر منهم[2]:

لو كنتُ مِن مازِنٍ لم تسْتَبِحْ إبِلي ***بنو لقيطَةَ من ذُهْلِ بني شيْبانا

قوْمٌ إذاَ الشَّرُّ أبدى ناجِذَيْهِ لهُمْ***طاروا إليه زَرَافات ووِحْدانا

---

1 . عبد الغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، ص13.

2 . عبد الغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، ص:15. عن الحماسة: 5/1 . 11، شرح التبريزي، طبعة بولاق 1296هـ.

لا يسأَلُونَ أَخاَهُمْ حينَ يَنْدُبُهُم***في النائباتِ على ماَ قالَ بُرْهَاناَ

لَكِنَّ قومِي، وإنْ كَانوا ذَوِي عَدَدٍ***ليسُوا منَ الشَّرِّ في شيءٍ، وإنْ هاَنا

وهنالك من الشعراء من أنكره قومه، لسبب من الأسباب. فهذا طرفة بن العبد، تحامته القبيلة وأفردته كما يفرد البعير المعبد (المطلي بالقطران، حتى لا تنتقل العدوى إلى البقية) لكثرة إسرافه في ملذات الحياة، من شرب وغيره، فبكى ذلك في معلقته. وطغت على الأبيات النزعة الذاتية، وعلا صوته المبحوح والمتحدي في الآن نفسه. حيث أنشد[1]:

وَمَا زاَلَ تَشْرابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي***وبيعِي وإنفاَقِي طرِيفِي ومُتْلَدِي

إِلَى أنْ تَحاَمتْنِي العَشِيرةُ كُلُّهاَ***وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ البَعيرِ المعَبَّدِ

رَأَيْتُ بَنِي غَبْراءَ لاَ يُنْكِرونَني***ولاَ أَهلَ هذاَكَ الطِّرَافِ الممَدَّد

وهنالك فئة أخرى من الشعراء الذين فضلوا الخروج عن القبيلة، بسبب ظلمها لأحدهم، وعدم أخذها بثأره لأحد أقربائه بل تطلب منه التعقل وقبول الدِّية، فيعلن لها العداء، ويجند مجموعة من الرجال الأشداء لنصرته ومساعدته على الأخذ بثأره. وخير مثال على ذلك، "الشاعر بلعاء بن قيس الكناني مع قومه، فقد أبى أن يرضى بالعقل ويقبل بالدية، ويصالح من أراقوا الدماء، وإنما آلى على نفسه أن ينتقم منهم أشد الانتقام برجال أشداء وفرسان أقوياء:

يَقُولُون: خُذْ عقلاً وصالح عشيرةً***فما يأْمُرنِي بالهمومِ إذاَ أُمسيِ

فأقسمتُ لا أنفكُّ حتى أزورَهُم***بِقُبِّ كأَمثالِ المجَوَّعَةِ الغُبْسِ

---

1. القاضي الزوزني، شرح المعلقات السبع، دراسة وتقديم وتعليق: سامي محمد، دار طيبة للطباعة، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2007، ص:115.

وبذلك كان موقف الشعراء من قبائلهم التي خاصمتهم أو ناصبتهم العداء موقفا، فيه إباء شديد للضيم، ورفض قوي للذل والهوان، وقد برزوا من خلال أشعارهم أفرادا معتزين بأنفسهم ومفتخرين بكبريائهم"[1]. ولكن وعلى الرغم من ذلك يبقى الفرد متمسكا بنسبه وانتمائه إلى قبيلته. منتظرا التفاتتها ومعاودة جمع الشمل معها. مقتنعا أنه فرع من غصنها.

ب– الخلعاء:

رأينا أن الفرد مهما وصلت درجة تألمه من قبيلته، واحساسه بالظلم والهوان من قبلها، فإنه لا ينفصل عنها انفصالا تاما، ولا يتنكر لانتمائه إليها ولا إلى نسبه. إنما يعتزل عنها ولكنه يبقى مفاخرا بنسبه وارتباطه معها بالدم. لكن إذا غضبت القبيلة على فرد من أفرادها، طردته من جنتها، ونقمت عليه. وألحقت به الذل والهوان على رؤوس الأشهاد. حيث أنها تعلن ذلك رسميا، وتنادي به في ساحات الحي حتى يعرف بذلك كل أفرادها. وتكتب كتابا في ذلك ويُحفظ أو يعلق أمام العيان وكانوا يقولون عند الخلع: "إناَّ خلعنا فلانا فلا نأخذ أحدا بجناية تُجنى عليه، ولا نُؤاخَذُ بجنايته التي يَجنيها"[2].

وحين يتمادى الفرد في ارتكابه الجرائر، وما عاد باستطاعة القبيلة الدفاع عنه في كل مرة، يصبح عبئا ثقيلا على كاهلها. حينها تعلن تملصها من واجب حماية الخليع أو الأخذ بثأره، وفي الآن نفسه تتبرأ من أي جريرة هو مرتكبها.

والخلعاء كثيرون وعلى رأسهم الصعاليك وسنستفيض في هذه المادة في محاضرة (شعر الصعاليك والخروج على نموذج القصيدة القبلية).

---

1 . عبد الغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، ص:18/17.

2 . لسان العرب وتاج العروس، مادة (خلع).

المحاضرة الرابعة:

بنية القصيدة الجاهلية (المعلقة).

توطئة:

عرف المجتمع الجاهلي بنظمه للشعر عبر حقب طويلة من الزمن، ومنذ أن كان الشعر أراجيز تنشد، وصولا إلى قصائد شعرية مكتملة البناء. ومن أشهر القصائد الشعرية الجاهلية (المعلقات)، والتي تعددت تسمياتها وتعددت روايات أعدادها.

وقد عرف العرب الشعر واحتفوا به، ويظهر ذلك جليا من احتفائهم بنبوغ شاهر عندهم، إذ يقيمون الولائم، وتلعب النسوة بالمزاهر كما في الأعراس. وهذا راجع لقيمة الشاعر عند القبيلة، حيث قيمتها من قيمته، فهو حامي حماها، وهو من يعلي من شأنها بين القبائل، وهو من يطيح بقيمتها إن والت قبيلته العداء.

1- العرب والشعر:

وعهد العرب بالشعر قديم جدا، حيث يقول ابن سلام الجمحي . في طبقات فحول . الشعراء . " لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته، وإنما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف. (وهاشم هذا هو الجد الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أي قبل الهجرة بمائة سنة على الأكثر.

وكان الشعراء يأتون مكة موسم الحج فيعرضون أشعارهم على أندية قريش، فما استحسنوه منها روي وكان فخرا لصاحبه، في القبائل كلها، وأصبح الناس بعد ذلك يفاخرون بشعرائهم، وصار الشاعر أيضا يباهي بقبيلته ويغض من غيرها.

واتجهوا في الشعر إلى المنافرات، وعززتها غريزة الفخر، فصاروا بحاجة ماسة للشعراء، فكانوا إذا نبغ فيهم شاعر احتفوا به وهللوا له وأقاموا الولائم.

ويقال (الشعر ديوان العرب)[1]. ومهما يكن ما وصلنا من الشعر الجاهلي، فشعر حقبة المئة والخمسين سنة قبل ظهور الإسلام هو الأفضل. بدون منازع. حيث عرفت القصيدة الاكتمال في مبناها ومعناها. ولهذا عاد إليه المفسرون وعلماء اللغة فيما بعد لتفسير ما استعصى فهمه من القرآن الكريم، ولوضع القواعد النحوية والصرفية واللغوية. وكانت المعلقات النص الشعري المكتمل من حيث المعنى والمبنى بلا منازع.

والمعلقات قصائد شعرية من أثر التراث الشعري العربي، ومن أجود الشعر، وأدقه معنى. وأوسعه خيالا، وأبرعه أسلوبا، وأمده قافية، وأصدقه تصويرا للحياة.وقد اختلفت العرب في تسمياتها، منها المعلقات، ومنها المسمطات.. واختلفت حتى في عددها، حيث تقول الرواية أنها سبع، أو أنها ثمانية، أو هي عشرة.

---

1 . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة، ج2، ص:470.

فالمعلقات:" (لغة) من العلق: وهو المال الذي يكرم عليك، تضن به، والعِلق هو النفيس من كل شيء، وفي حديث حذيفة:"فما بال هؤلاء الذين يسرقون أعلاقنا" أي نفائس أموالنا ـوالعَلق هو كل ما عُلِّقَ.

وأما المعنى الاصطلاحي، فالمعلقات: قصائد جاهلية بلغ عددها السبع أو العشر. برزت فيها خصائص الشعر الجاهلي بوضوح. حتى عدت أفضل ما بلغنا من الجاهليين من آثار أدبية"[1].

2- سبب تسميتها:

قيل لأنهم استحسنوها وكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة. وهذا ما ذهب إليه ابن عبد ربه في العقد الفريد، وابن رشيق وابن خلدون وغيرهم. يقول صاحب العقد الفريد: "وقد بلغ من كلف العرب به (أي الشعر) وتفضيلها له أن "عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها على أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امرئ القيس، ومذهبة زهير، والمذهبات السبع، ويقال لها المعلقات"[2].

ونذكر أن النقاد القدامى والمحدثين، اختلفوا في مسألة تعليقها على جدار الكعبة، على الرغم من سنة العرب الجارية على تعليق ما هو غاية في الأهمية على جدارها لتقرأه الناس، خاصة أن الكعبة منذ القديم كانت قبلة المتعبدين، والتجار كذلك. ولن أخوض

---

1. الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص:3.
2. علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج9، ص: 509. 511.

في الجدل كثيرا، لكن المؤكد أنها شغفت القلوب والعقول، وعلقت في الصدور. ومنها. على سبيل التمثيل لا الحصر، مطالع المعلقات السبع"1.

– معلقة امرئ القيس، وهي اثنان وثمانون بيتا، على البحر الطويل، تتضمن بمعظمها وصفا للأطلال، والأحبة، والليل، والوادي، والفرس، ورحلة الصيد، والطبيعة (البرق، والمطر، والسيول)، وغيرها. ومطلعها:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ ***بسقط اللِّوى بين الدَّخول فحوملِ

– معلقة طرفة بن العبد، وهي مائة وأربعة أبيات، على البحر الطويل، تناولت الأطلال، والحبيبة (خولة)، والناقة، والشاعر نفسه، والكرم، واللهو، والسُكرُ، والنوق، وموقفه من عمِّه، وفلسفته في الموت والحياة. ومطلعها:

لخولةَ أطلال ببرقةِ ثهمدِ***تلوح كباقي الوشم على ظاهر اليدِ

– معلقة زهير بن أبي سلمى، وهي ثلاثة وستون بيتا، على البحر الطويل، معظمها في الغزل، والأطلال والتحذير من الحرب. ومطلعها:

أمِن أم أوفى دمنة لم تكلَّم***بحومانة الدارج فالمتثلم

- معلقة عنترة بن شداد العبسي، وهي أربعة وثمانون بيتا، على البحر الكامل، تضمنت قضية حبه، وسواد لونه، والوقوف على الأطلال، وعبلة، والناقة، وأعماله العسكرية، ومطلعها:

---

1. سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009، ص:138، 139.

هل غادر الشعراء من متردم***أم هل عرفت الدار بعد توهم

3- بناء القصيدة العربية الجاهلية (المعلقة):

مرت القصيدة بمراحل متعاقبة، واكتملت ونضجت في صورتها المثلى وهي على شكل: معلقة. ويعد بناء المعلقة نموذجا احتذى به شعراء الجاهلية وكذلك شعراء الأزمنة اللاحقة إلى يومنا هذا، ونقدمه من خلال العناصر الآتية:

1 . المطلع:

اشتغل الشعراء على المطلع وحسنه وقوة استمالته للأسماع والقلوب، واستثارته للمشاعر، لأنه أول ما يُستهلُّ به، ليكون قادرا على اجتذاب الأسماع، مراعيا مقتضى الحال، متسق المعنى مع معاني الأبيات في القصيدة كلها، بعيدا على التعقيد والغموض، بريئا من التكلف في الصياغة، منزها عن الركاكة في التعبير، فيه جدة وابتكار وأسر للقلوب.

"وكذلك لاحظوا مناسبة المطلع لموضوع القصيدة، فإذا كان المقام مقام حزن كان أولى بالمقطع أن يبتدئ بذلك من أول بيت، وإذا كان المقام مقام تهنئة أو مدح كرهوا الابتداء بما يتشاءم به"[1]. وقد مدحوا المطالع التي تناسب الحال والمقام. قال العسكري:" أحسن ابتداءات الجاهلية قول النابغة:

---

1 . الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 43.

كليني لهمٍّ يا أُميمَة ناصِبِ**وليلٍ أُقاسيهِ بطيءِ الكواكِبِ"[1].

وأحسن مرثية جاهلية ابتداء قول أوس بن حجر[2]:

أيَّتُهاَ النَّفْسُ أَجملي جَزعاً**إنَّ الذي تَحِذَرينَ قد وقعاَ

وأرجع ابن رشيق حسن المطالع وجودتها للمجيد من الشعراء، والمقتدر شاعرية. أما ضعفها أو فسادها، فيرجعه لضعف الشاعر نفسه "وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء العيوب إما من غفلة في الطبع وغلظ، أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أينما يكون"[3].

2 . مفتاح القصيدة:

وهو مفتاح سحري يفتح القلوب لا الأسماع وحدها. قال ابن رشيق"إن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداءه شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة.. وليجعله حلوا سهلا، وفخما جزلا، فقد اختار الناس كثيرا من الابتداءات أذكر منها ههنا ما أمكن ليستدل به، نحو قول امرئ القيس:

قِفاَ نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومنزِلِ

---

1 . عمر رضا حكالة، معجم المؤلفين، مرجع سابق، ج560/1.

2 . خير الذين الزركلي، الأعلام، ج31/2.

3 . ابن رشيق، العمدة، ص: 195.

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد"[1].

وهو عبارة عن مقدمة القصيدة، بعد المطلع، وهي بضعة أبيات تلي المطلع، وأشيع الإغراض في المقدمات النسيب، أو بكاء الأطلال، أو صفة الطيف، أو الشكوى من النسيب. وفي بعض الأحيان يبدأ الشاعر بغرضه أو بيت القصيدة دون مقدمة وهذا شائع في شعر الهذليين.

وقد فسر بعض النقاد ابتداء الشاعر بهذه المقدمة، أن القصيدة الجاهلية قسمان: قسم ذاتي خاص يخلو فيه الشاعر إلى نفسه، فيصور ما فيها من نوازع ومواجد، وقسم عام، يخرج فيه الشاعر من الذات إلى الواقع، والحياة والكون، وهذا القسم في أكثر القصائد الجاهلية، واسع الأفق، طويل النفس، تطغى فيه قضايا القبيلة على ذات الشاعر.

والمطالع في القصائد الجاهلية الطويلة، إما أن تكون طللية أو غزلية، أو خمرية، وقد تكون في الطيف أو التشبيب وغيرها. وافتتاح القصائد بالنسيب لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول، والميل إلى اللهو والنساء، وإن ذلك استدراج إلى ما بعده"[2].

ونجد الشاعر امرئ القيس يستهل معلقته بمقدمة طليلة بكى فيها واستبكى الأصحاب، عن الديار والحبيب:

قِفاَ نبكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومنزلِ** بِسِقطِ اللِّوَى بينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ

---

1 . ابن رشيق، العمدة، ج218/1.

2 . المرجع نفسه، ص:212.

فَتُوضِحُ فَالمِقراةُ لمْ يَعفُ رَسْمُها** لِماَ نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

فهو يبكي الحبيب ويبكي المنزل ويحدده للعيان بحدوده الجغرافية الأربعة، ثم يبكي الديار باسترجاع صورتها القديمة وهي تنبض بالحياة:

ترَى بعرَ الأَرآمِ فِي عَرَصَاتِهاَ** وقِيعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلفُلِ

حيث أعاد للديار بهجتها، بأن في ساحاتها الأطفال يعرصون؛ أي يلعبون. وأعاد صورة الأصحاب لحظة فراقهم وهم يواسونه:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَليَّ مَطِيَّهُمْ** يقُولُونَ؛ لاَ تَهلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

3 . التخلص:

وثالث الحلقات في سلسلة القصيدة الجاهلية التخلص من المقدمة إلى الغرض الأساسي، كالفخر، أو المدح، أو الهجاء، أو الغزل، ويعد التخلص خطوة حرجة، هذا البرزخ الواصل الفاصل أن يكون آخذا مما قبله ومما بعده بسبب. فإذا وقع الانتقال على نحو مفاجئ سمي صنيع الشاعر اقتضابا، والاقتضاب القطع. وهذه التسمية تعني أن الشاعر يفتقر إلى اللباقة، أو تعوزه الخبرة، ويعجز عن ربط فكرة بفكرة، فيقفز فوق أعناق المعاني قفزا متقطعا، يفاجئ به عقل السامع وقلبه.

وبالتالي التخلُّصُ أن يسرد الناظم في موضوع معين كأن يكون الغزل ثم يخرج منه خروجا لطيفا ليشرع في سرد موضوع مختلف كالمدح مثلا، فيكون "بينهما أعظم القرب والملائمة بحيث يكون الكلام آخذ بعضه برقاب بعض كأن أُفرغ في قالب واحد"[1].

والتخلص ليس بالفعل الهين، بل المقتدر من الشعراء هو الذي يجيد توظيفه في قصيدته، فتجد الأغراض تتابع متسلسلة، سلسة، لا تفكك بينها. والتخلص في الشعر أعسر من التخلص في النثر. ذلك أنه على الشاعر مراعاة القافية وحرف الروي وملاءمتهما للمعنى.

وقد يكون الانتقال في التخلص على شكل تساؤل، كما في معلقة امرئ القيس، حيث تساءل في نهاية بكائه على الأطلال ليأتي الرد في البيت الموالي والذي هو بمثابة استهلال لغرض الغزل، وهو هيكل القصيدة، حيث قال:

وإن شفائي عبرة مهراقة** فهل عند رسم دارس من معوَّلِ؟

فهل يعول ببكائه على الرسم الدارس أن يعيد الأحبة إليه كما كانوا في سابق عهدهم؟ ثم يربطه بمعنى البيت الذي يليه، ويقول إنه كما بكى من قبل على أم الحويرث وأم الرباب بمكان اسمه مأسل، ولكنه لم يفلح في إعادتهما.

كدأبك من أمِّ الحُويْرِثِ قبلها** وجارتها أم الرباب بمأسل

---

1 . يحي بن حمزة، كتاب الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق والإعجاز، العلوم البحثي، دار الكتاب العلمية، د.ت، بيروت، لبنان، 331/330/3.

بعدها يسترسل الشاعر في موضوع الغزل ويطول فيه. من دون أن نحس أنه خرج لتوه من المقدمة الطللية.

4 . الهيكل:

وهو هيكل القصيدة وموضوعها الأساسي كالفخر، والمدح في معلقة زهير بن أبي سلمى، والاعتذار والفخر في معلقة النابغة الذبياني، والغزل والمدح في معلقة امرئ القيس. وفي هذا القسم من القصيدة يطيل الشاعر ما شاء الله له أن يطيل، فيمدح ويمزج المدح بالحماسة والحكمة كما فعل زهير. ويفخر ويمزج الفخر بهجاء الخصم كما فعل عمرو بن كلثوم، ويتغزل ويشوب الغزل بالفخر كما فعل امرئ القيس. وربما جمع بين هذه الموضوعات كلها، حتى تغدو القصيدة المطولة تصويرا لحياة الشاعر وتاريخا لقبيلته، وربما نثر بين تضاعيف القصيدة مجموعة من الحكم والتأملات كما صنع طرفة ابن العبد وزهير بن أبي سلمى.

5 . خاتمة القصيدة:

وآخر الأقسام خاتمة القصيدة، ولما كانت الخاتمة الصوت الأخير الذي يطرب آذان السامعين، فقد حرص الشعراء على أن يكون مركزا في بيت محكم المعنى والصوت والنبرة، وأن يحتوي على معنى عميق من مثل الحكمة أو المثل السائر، يختصر موقف الشاعر وتجربته. وأمثلة ذلك خواتيم المعلقات، منها الحكمة التي ختم بها زهير بن أبي سُلمى قصيدته، إذ قال:

سَأَلْنا فأَعْطَيتُمْ وعُدنا فَعُدتُم** ومن أَكثَرَ التّسْآل يَوماً سَيُحْرَمِ

وما ختم به الشاعر عمرو بن كلثوم، من افتخار بقوة معشره، حتى الصبي منهم تخرُّ له الجبابرة ساجدين، حيث ختم بالبيت التالي:

إذا بلَغَ الفِطَامُ لَناَ صَبِيٌّ** تخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيناَ

المحاضرة الخامسة:

أغراض القصيدة العربية القديمة

تنوعت الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي، وكان الشاعر ينشد في قصيدته أكثر من غرض، جاعلا واحدا منها هو بيت القصيد، أو هو الغرض الأساسي فيها، ثم يلحقه بأغراض أخرى تخدم المعنى العام. كأن يكون الغرض الأساسي هو الرثاء، فيردفه الشاعر بغرض المدح، بحيث يكون تكملة للغرض الأول يستدعيه ولا يستدعي غيره. ومن أبرز الأغراض الشعرية في العصر الجاهلي ما يلي:

1 . غرض الغزل:

يعد غرض الغزل الغرض الأكثر شيوعا عند الشاعر الجاهلي، حيث عرف عليه حبه للنساء وتغزله بهن، سواء تغزلا عفيفا بذكر محاسنهن وحبه وهيامه بهن، أو تغزلا ماجنا بتعداد مفاتنهن، وخلوته بهن وذكر ما يصيبه منهن. ولم يترك الشاعر الجاهلي لا حبيبة قريبة من بني عمومته، ولا بعيدة من عشيرته، أو غير عشيرته. على الرغم من تداعيات تغزله بهن وما يجره على نفسه من إيذاء أو توعد بالقتل، كما جاء في قول امرئ القيس جراء تغزله بابنة عمه فاطمة:

تجاوزت أحْراساً إليهاَ ومعْشَراً** عليَّ حِراساَ لو يُسِرونَ مَقْتَلي

لأنه ملك والملوك لا يقدر على قتلهم علانية[1].

---

1 . الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص:146.

والغزل الجاهلي "مادي حسيٌّ يتصل بالغريزة، يتعرض لمحاسن المرأة الظاهرة، من جبين وخد وعنق وصدر وعينين وفم وأنف ورق ومعصم وساق وثدي وشعر ونحو ذلك. كما يتعرض إلى زينتها وحليها وطيبها، وقلما يعبر عن معنى روحي مثل الغزل العذري، فقد لقب المهلهل زير نساء، وغالى امرئ القيس في غزله، فلم يتورع عن وصف الفاحش والغزل الماجن"[1]

وقد وصف امرؤ القيس مفاتن حبيبته من جسد وجيد رئم وبياض بشرة وطيب ريح. ووصف صدرها البراق كالمرآة والمرصّع بالحلي، ووصف شعرها الأسود المعَثْكَلِ. حيث قال في معلقته[2]:

مُهَفْهَفَةٌ بيضَاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ** تَرَائِبُهاَ مَصْقُولَةٌ كالْسَّجَنْجَلِ

وجِيدٍ كجيدِ الرِّئْمِ ليسَ بِفَاحِشٍ** إذاَ هيَ نَصَّتهُ ولاَ بِمُعَطَلِ

وفرْعٍ يَزِينُ المتْنَ أَسْوَدَ فاَحِمٍ** أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المتَعَثْكِلِ

وتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوقَ فِرَاشِها** نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تنتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

إلى مِثْلِهاَ يَرْنُو الحَلِيمُ صَبَابَةً** إذا ماَ اسْتَبْكَرَتْ بينَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ.

2 ـ غرض الحماسة:

الحماسة لغة اسم مشتق من مزيد الثلاثي حَمِسَ حَمْسَا (بمعنى أغضبه) وهو تحمس يتحمس المرء إذا اشتد في الأمر وتشجع[3].

---

1 ـ محمد السهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص:135.

2 ـ الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 155/150.

3 ـ المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ص: 79.

والحماسة هي "القوة والشدة والشجاعة"[1]. والحماسة تدور حول افخر بالقبيلة وحول المعارك والأخذ بالثأر والتبجح بمظاهر البطش والقوة، ومن أبطالها عمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد"[2].

وقد غلب على الشعر الجاهلي، شعر الحماسة حتى أن أغلب شعر المفضليات والأصمعيات هو من الحماسة. وشعر الحماسة إلى كثرته من أصدق الأشعار وأقواها وأشد أثرا في النفوس، ذلك لأن الشعراء كانوا أنفسهم يخوضون غمرات القتال فيبصرون عن واقع مشهود وتجارب نفسية صادقة وإن لم يكن بعضها يخلو من المبالغة ومجاوزة الواقع...شعر الحماسة ذلك النوع الذي يتحدث عن الأيام المشهورة والمواقف المعروفة والبطولات النادرة والانتصارات المتوالية والبأس والقوى والحمى، ومثل هذا الشعر كان الأنشودة الملتهبة والترنيمات التي تملأ القلب بالإقدام، والنفس بالثورة، واليد بالبطش، والروح بالميل إلى الاندفاع في سبيل الموت صونا لعرض كريم أو نفس عزيزة أو جاه رفيع أو ملكية مصونة أو حق يوشك أن يضيع.[3]

وبالتالي شعر الحماسة يلمس كل ما في الحياة العربية من حروب وإقدام، متشبعا بالإثارة والإقبال والشجاعة وشنٍّ للحروب، والتحريض على الأخذ بالثأر، وألفاظ شعر الحماسة قوية لا تخرج عن الإشادة بالمناقب والمفاخرة بالإقدام والفر والكر وعدم الرهبة من العدو، بل بالعكس من ذلك، إذ قوم شاعر الحماسة هم من يُرهِبون عدوهم،

---

1 . لسان العرب لاين منظور، مادةَ مَسَ، فصل الحاء المهملة 57/6 باب السين، فعل الحاء.

2 . الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ص:75.

3 . سعيدة علي، بنية القصيدة الجاهلية، ص: 77

فيصورونه بأقبح صور الجُبن والخزي والعار. وها هو شاعر الحماسة عمرو بن كُلثوم، يقول في معلقته[1]:

أَبَاَ هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ علينَاَ**وانْظُرْنَاَ نُخَبِّرُكَ اليَقِيناَ

بِأَنَاَّ نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً**ونُصْدِرُهُنَّ حُمِراَ قَدْ رُويناَ

وقَدْ هَرَّتْ كِلاَبُ الحَيِّ مِناَّ**وَشَذَّبْناَ قَتَادَةَ مَنْ يَلِيناَ

مَتَىَ نَنْقُلْ إِلَىَ قَوْمٍ رَحاَناَ**يَكُونُوا فِي اللِّقَاءِ لَهَاَ طَحِيناَ

نُطاَعِنُ ماَ تَرَاَخَى النَّاسُ عَناَّ**ونَضْرِبُ بالسُّيُوفِ إِذَا غُشِيناَ

كَأَنَّ جَماَجِمَ الأبْطاَلِ فيهاَ**وَسُوقٌ بالأَماَعِزِ يَرْتَمِيناَ

نَشُقُّ بِهاَ رؤُوسَ القَوْمِ شَقًّا**وَنَخْتَلِبُ الرِّقاَبَ فَتَخْتَلِيناَ

وما يلاحظ على شعر الحماسة أنه أصدق الأشعار وأقواها وأشدها تأثيرا في النفوس، لما نستشعره فيها من صدق عاطفة، وصدق تجربة. وهذا مرده أن معظم شعراء الحماسة هم أنفسهم فرسانا شاركوا في هذه الحروب التي تدور رحاها وهم فيها، وبالتالي هم أدعى للتصديق وأقرب للتأثر بهم دون غيرهم.

3. غرض الفخر:

الفخر لغة: التباهي والافتخار، من فَخَرَ يفْخَرُ[2]. أما **اصطلاحا:** الفخر هو التغني بالأمجاد، ويكون عادة بادعاء أشياء للنفس أو للقبيلة في متناول الجميع بيسر وسهولة. وهو في الشعر الجاهلي نوعان: شخصي وقبلي، ومن خير الأمثلة له : معلقة عمرو بن

---

1. الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 49/45.

2. لسان العرب لابن منظور، فصل الفاء، مادة فَخَرَ ج5، ص:18.

كلثوم ومعلقة الحرث بن حلزة وهما في الفخر القبلي. ومعلقة طرفة بن العبد ومعلقة عنترة، وهما في الفخر الشخصي، والنوعان في معلقة لبيد، وقد ورد الفخر في كثير من القصائد للشعراء المذكورين من أصحاب المعلقات وغيرهم، مثل عامر بن الطفيل، وعبيد بن الأبرص، وسلامة بن جندل، والحصين بن الحمام، وفي أشعار كثير من غير هؤلاء.

وكان الفخر عند الجاهليين يقوم عادة على التغني بالبطولة والشهامة، وكثرة الحروب، وشن الغارات، والنصر والغلبة، والقوة، والبأس، والعدد، والخيل، والإبل، والسلاح، وإثارة الفزع في نفوس الأعداء، ومنازلة الملوك والرؤساء، وكثرة الغنائم، والأسرى والسبايا، كما كاموا يتباهون بالأصل والنسب والحسب والآباء والأجداد، وما كان لهم من مفاخر وأمجاد، وبأصالة الرأي، وسداد القول، وبعد النظر، وكمال العقل، والوقار والرزانة والحلم والأناة، والمروءة، والوفاء، وبالمحبة والصفاء بين العشيرة، وسد حاجة المحتاج منهم، وتحمل الغني أعباء القبيلة، ورعاية للفقراء منها، وعدم التفاخر فيما بينهم وبشرب الخمر، والتفاني في شرابها وإسقائها للآخرين، والتضحية في سبيلها بأكرم الأموال، وأغلى الممتلكات، وبالطيب، وطول الثياب... وكثرة الجفان وبرعاية الجار، وعقر النوق، والتباري في عقرها، وإغاثة الملهوف، وتلبية النداء في غير ما توانٍ أو تلكؤ، كما تفاخروا بالفصاحة والبيان، وجيد القول، وروائع الشعر، والغلبة في المناقشة والجدال"[1]والملاحظ من هذا التعريف المستفيض لغرض الفخر، أنه يتقاطع كثيرا مع غرضي المدح والحماسة، إذ تدور جميعها جول الخصال والشمائل التي يعتد بها الفرد في الجاهلية وكذلك القبيلة على حد سواء. ومن أمثلة شعر الفخر القبلي، ما جاء في معلقة الحارث بن حلزة[2]:

فمَلَكْناَ بِذَلِكَ النَّاسَ حتىَّ**مَلَكَ مُنْذِرُ بن ماَءِ السَّماَءِ

---

1 . علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، مكتبة دار التراث، ط1، 1991، ص: 364.

2 . الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص:33/23.

مَلِكٌ أَضْرَعَ البَرِّيَّةَ لاَ يُوجَدُ**فيهاَ لِماَ لَدَيْهِ كِفاَءُ

وفَعَلْناَ بِهِمْ كماَ عَلِمَ اللهُ**وماَ إِنْ للخَائِنِينَ دِماَءُ

وفَكَكْنَ غُلَّ امرِئ القيْسِ عنهُ**بَعْدَماَ طاَلَ حَبْسُهُ والعَناَءُ

أما الفخر الشخصي، فيمثله عنترة بن شداد في معلقته[1]:

أُثْنِي عليَّ بِماَ عَلِمْتُ فَإِنَّنِي**سَمْحٌ مُخاَلَقَتِي إِذَا لَمْ أُظْلَمِ

وإِذاَ ظُلِمْتُ فَإِنَّ ظُلْمِي باَسِلٌ**مُرٌّ مَذاَقَتُهُ كَطَعْمِ العَلْقَمِ

فَإِذاَ شَرِبْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ**ماَلِي وعِرْضِي واَفِرٌ لَمِ يُكْلَمِ

إِذاَ صَحَوْتُ فماَ أُقَصِّر عَنْ نَدًى**وكَماَ عَلِمْتِ شَماَئِلِي وتَكَرُّمِي

4. غرض المدح:

كانت القبائل في الجاهلية تحتفل بنبوغ شاعر فيها، ذلك لأن الشاعر لسان حالها، فهو سيفها المسلط على رقاب أعدائها كل حين. وكانت القبيلة تعتز به أيما اعتزاز، وبالمقابل كان هو حامي حماها، "كما قال دُرَيْدْ بنُ الصِمّةِ الهوازنِيُّ:

وَماَ أناَ إلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ** غويتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةَ أَرْشُدِ

1. المرجع نفسه، ص: 82/81.

وهنا يُظهر الشاعر الولاء المطلق لقبيلته، فالرأي رأي العشيرة، سواء كانت على صواب وكان موافقا لها فيما تراه، أو كانت على خطأ فكان لزاما عليه الإذعان لرأي الجماعة وليس الانشقاق والعصيان"[1].

والمدح هو الثناء على إنسان بذكر فضائله وتعداد صفاته وخصاله العظيمة. ويمتدح الشعراء من خلال مناقب قبائلهم وسادتهم، فيتحدثون عن عزتها وإبائها، وشجاعة أبنائها، وفتكهم بأعدائهم، وإكرامهم لضيوفهم ورعايتهم لحقوق جيرانهم. وللقبيلة التي يجدون فيها كرم الجوار نصيب كبير من المدح. ولعل أمدح بيت قالته العرب قول النابغة في عمرو بن الحارث الأصغر الغساني:

أَلمْ تَرَ أنَّ اللهَ أَعْطاكَ سورةً** ترىَ كُلَّ مَلِكٍ دُونهاَ يَتَذَبْذَبُ

كَأَنَّكَ شَمْسٌ والمُلُكُ كَواكِبُ** إذاَ طَلَعْتَ لمْ يبدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ"[2]

5. غرض الهجاء:

إن غرض الهجاء هو سبب رئيس في كون القبيلة تحتفل بنبوغ شاعر فيها. لأنه إن كان نادحا لها بين القبائل ومعليا من شئنها، فأنه بالمقابل هاجيا أعداءها من القبائل، مُحِيطاً من شأنهم. ولهذا كان الناس يخافون الهجائين ولا يعترضون سبيلهم، ويتقون أذيتهم. وكانوا يخافون من مجرد وعيدهم لهم بالهجاء. فيردون لهم ما أخذوه منهم اتقاء هجائهم لهم.

---

1. يُنظر محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ج1، 2007، ص:326.

2. محمد السهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص: 135/133.

"يُروى أن الحارث بن ورقاء الأسدي أغار على بني عبد الله بن غطفان، فغنم فاستاق إبل زهير وراعيه يساراً، فنظم زهيراً بيتاً يتوعده بالهجاء المقذع، يقول فيها:

لَيَأْتِيَنَّكَ مِنِّي مَنطِقٌ قَذَعٌ** بَاقٍ كَماَ دَنَّسَ القُبْطِيَّة الوَدَكُ"[1]

وكان للشاعر طقوسا خاصة عند الهجاء، حيث "يلبس الشاعر الجاهلي، إذا أراد الهجاء، حُلَّةً خاصة شبيهة بزي الكاهن، ويحلق نصف رأسه، ويترك له ذُؤَابتينِ، ويدهن أحد شقي رأسه، وينعل نعلا واحدا، والمعروف أن حلق الرأس كان من سنن الجاهليين في الحج... حتى تصيب لعنات هجائه أعداءه بكل ما يمكن من ألوان الأذى وضروب النحس المستمر"[2].

6. غرض الرثاء:

الرثاء من الأغراض الشعرية القديمة التي ظهرت بصورة واضحة عند الشاعر الجاهلي، لا تقل أهمية وظهورا عن غرض المدح، لأن الظروف الحياتية التي كانت سائدة آنذاك جعلت الشاعر الجاهلي وأفراد قبيلته دائمي التفجُّع والبكاء على أحبتهم الذين قُتِلوا في الحروب والإغارات، أو ربما بسبب غدر أو ثأر. و"يتصل البكاء بالحماسة اتصالا واضحا، والرثاء هو بكاء الميت والتفجُّع عليه، وإظهار اللوعة لفراقه، والحزن لموته، وتعداد خلاله الكريمة والإشادة بمناقبه، وشمائله بشيء يدل على أن المقصود به ميت"[3] والرثاء أنواع، وهي (الندب والتأبين والعزاء)[4].

---

1. الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص:307.
2. محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، ص: 29.
3. المرجع نفسه، ص: 131.
4. المرجع نفسه، ص: 133/132/131.

أ . الندب:

أما الندب فهو الرثاء المنبعث من عاطفة ملتاعة وقلب حزين موجع، فهو إذن يتميز بالقوة الدافقة، والحرارة الملتهبة، والشعور القائم، ويكون على لسان والدٍ فقد ولده، أو أخٍ مات أخوه. وهكذا كان الشعراء يرثون أبطالهم في قصائد حماسية ويصفون مناقبهم التي فقدتها القبيلة فيهم، فيدفعونها إلى حرب من قتلوهم، وتشارك النساء الرجال، فمازلن ينحن على القتيل حتى تثأر القبيلة له.

ب . التأبين:

فهو مدح الشخص بعد وفاته والثناء عليه وتعداد صفاته الحميدة. ومن روائع الندب، رثاء الخنساء أخيها صخر، فقالت:

أقذى بعيْنِكَ أمْ بالعَيْنِ عُوارُ**أمْ رَّفتِ أن خلتْ من أَهْلِهاَ الدَّارُ

كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْراهُ إِذاَ خطَرْتَ** فيضٌ يَسيلُ على الخدَّيْنِ مِدرَارُ

فالعَيْنُ تيبْكِي على صَخْرٍ وحُقَّ لَهاَ**ودُونَهُ منْ جَدِيدِ الأَرْضِ أَستاَرُ

وينال من يموت في ميادين القتال تأبينا كثيرا، وقد يُضمنون هذا التأبين هجاء لاذِعا لخصومهم، وفخراً بعشيرتهم.

جـ . العزاءُ:

وأماَّ العزاءُ فهو لون من الشِّعر تغلب فيه التعزية على البكاء والحزن، ولا بُدَّ من أن يصحبها صفات الفقيد والتألم لفقده، والتأسي عنه بأنه حوض لا بُدَّ من وروده.

7. غرض الوصف:

غرض الوصف لم تخل منه قصيدة جاهلية، حيث ذهب الشعراء الجاهليون في الوصف مذاهب شتى، وأسهبوا فيه أيما إسهاب؛ ذلك أن طبيعة الحياة العربية آنذاك منحتهم طول التأمل في الطبيعة وفي صحرائها الشاسعة وحيواناتها المختلفة. كما وصفوا أيامهم ولياليهم وغدوهم باكرا ورحلاتهم في الصيد، وليالي سمرهم جلسات شوائهم، ومطاياهم من خيول ونجائب، وأجادوا الوصف. وقد برعوا فيه حتى أن بعضهم فاز بشرف الأسبقية إلى معنى أراده أو وصف وصفه فعُرِفَ به. ومن أخذه يعد سارقا في ميزان النقد العربي.

ومن هؤلاء الشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي برع في الوصف، وسبق فيه إلى معاني غير موجودة من قبل، وهو ما يسمى بالبديع المخترع في ميزان النقد العربي القديم. في قوله (قيد الأوابد هيكل) وهو وصف لقوة فرسه البدنية، ولسرعته الهائلة؛ حيث يجري وراء الفريسة بسرعة ويلتف أمامها، فيقيدها؛ إذا لا يمكنها الهروب، فتكون فريسة سهلة لصاحبه. وقد برع امرئ القيس في الوصف، حيث وصف حبيبته وتغزل بها، ووصف مغامراته معها، ووصف الليل وطوله من كثرة همومه، ووصف الفرس وقوته، ووصف رحلة صيده، وجلسة الشواء مع أصحابه، ووصف الطبيعة الماطرة والسيول الجارفة. كل هذا في معلقته، وكان بارعا في الوصف بإجماع النقاد القدامى. وها هي نماذج من هذا الوصف الرائع من معلقته[1]:

. وصف حبيبته (بيضاءٌ غير بارزة البطن، صدرها أبيض براق بالحُلَيْ):

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيرُ مُفاضَةٍ**ترائِبُها مَصْقُولةٌ كَالسَّجَنْجَلِ

---

1. الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص:131...173.

. وصف ليله الطويل المليء بالهموم (كأنه أمواج بحر ممتدة كتمدد حيوان، وكأن أستارا قد أُرخِيتْ عليه):

وليلٍ كأَمواجِ البَحرِ أَرْخَى سُدُولَهُ**عليَّ بِأَنواعِ الهُمومِ ليَبْتَلِ

. وصف فرسه (سريه العدوِ، يقيد الفريسةَ، لا يستقر فوقه الفارس الخفيف ولا الثقيل):

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا**كجُلْمُودِ صَخْرٍ حطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

يَزِلُّ الغُلاَمُ الخِفُّ عَنْ صَهَواَتِهِ**ويُلْوِي بِأَثْوَابِ العَنِيفِ المثَقَّلِ

. وصفه لرحلة الصيد، والاستمتاع بالشواء:

فَعَنَّ لَناَ سِرْبٌ كَأَنَّ نِعاَجَهُ**عَذاَرَى دُوارٍ فِي مُلاَءٍ مُّذَيَّلِ

فعادَى عِداَءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ**دِراَكاً ولَمْ يَنْضَحْ بِماَءٍ فيُغْسَلِ

فَظَلَّ طُهاَةُ اللَّحْمِ مِنْ بينِ مُنْضِجٍ**صَفِيفَ شِواَءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلِ

. وفي آخر القصيدة، وصف الطبيعة الماطرة في منطقة اسمها تيماء:

أصاَحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَمِيضُهُ**كَلَمْعِ اليَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

فأَضْحَى يَسُحَّ الماَءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ**يَكُبُّ عَلَى الأَذْقَانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ

وتَيْمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهاَ جِذْعَ نَخْلَةٍ**ولاَ أُطُماً إلاَّ مَشِيداً بِجَنْدَلِ

8 ـ غرض الحكمة:

يعد الشعر العربي إرثا قيما لانزال نستخلص منه، فصاحة لغته، وبلاغة صوره، وروعة وصفه، إضافة إلى ذلك فهو يضم إرثا هاما من الحكم والأمثال السائرة. والحكمة هي خلاصة خبرة الشاعر في الحياة وخلاصة تجاربه. "والحكمة هي المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس"[1].

ونجد الكثير من شعراء الحكمة في الجاهلية، منهم: قس بن ساعدة، وقصي بن كليب، ولقمان بن عاد من بني وائل، وطرفة بن العبد، هذا الأخير الذي اغتنت معلقته بالحكمة المستقاة من فلسفته في الحياة وتأملاته فيها، وقد حفظها الناس وتداولوها على شكل حكم، يستفاد منها في موقف من المواقف. ومن الحكم التي تضمنتها معلقته[2]:

أرىَ الموْتَ يَعْتاَمُ الكِرَام ويصْطَفي**عقِيلةَ مالِ الفاَحِشِ المتَشَدِّدِ

أرىَ العَيْشَ كَنْزاً ناَقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ**وماَ تَنْقُصِ الأَيَّامُ والدَّهْرُ يَنْفَدِ

لَعَمْرُكَ إنَّ الموْتَ ماَ أَخْطَأَ الفَتى**لكاَلطِّوَلِ المرْخَى وثِنْيَاهُ في اليَدِ

وظُلْمُ ذوي القُرْبَى أَشَدُّ مَضاَضَةً**علَى المرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُساَمِ المهَنَّدِ

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ماَ كُنْتَ جاَهِلاً**ويأْتِيكَ بالأَخْباَرِ منْ لمْ تُزَوَّدِ

لِساَنُ الفَتَى نِصْفٌ ونِصْفٌ فُؤاَدُهُ**فَلَمْ يبقَ إلاَّ صُورةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وإِنَّ سَفَاهَ الشَّيْخِ لاَ حِلْمَ بَعْدَهُ**وإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفاَهَةِ يَحْلُمِ.

---

1 . لسان العرب لابن منظور، مادة حكم، ج12، ص:141.

2 . الزوزني، شرح المعلقات السبع، 234/213.

المحاضرة السادسة:

مواطن التطور في القصيدة الجاهلية

توطئة:

ظهر منذ القديم وعي لدى الشاعر بضرورة التجديد في القصيدة العربية، ومحاولة الانفلات من قيودها، مما سارت عليه العرب في بناء القصائد، وأيضا في عمود الشعر.

والتجديد في القصيدة القديمة عرف تقدما كبيرا خاصة في العصور اللاحقة بصدر الإسلام؛ حيث جددوا في عمود الشعر خاصة عند انتقال العرب إلى حياة الحضارة والترف، رغم المحاولات العديدة من المحافظين لردعهم عن هذا التجديد. ومثال ذلك التجديد في موضوعات الشعر خاصة مع التطور الذي شهده العصر العباسي. وأبعد من ذلك الثورة التي قادها أبو نواس على قواعد الشعر العربي، والتي لقيت رواجا كبيرا فيما بعد.

1. مراحل تطور الشعر:

أما القصيدة الجاهلية فقد مرت بمراحل تطور عبر أحقاب من الزمن تتعدى القرنين، ولا شك أن القصيدة العربية مرت بمراحل عديدة تطورت خلالها لتصل إلينا على هذه الهيئة من النضج والكمال والرونق. لكن ليس بين أيدينا من شعر يفصل هذه المراحل، إلا إشارات ذكرها بعض الشعراء منهم امرؤ القيس الذي أشار إلى أسبقية شاعر اسمه ابن خِدامْ إلى البكاء على الأطلال، وذكره في بيت، قائلا:

عُوجاَ على الطَّلَلِ الحُيلِ لَعَلَّناَ**نَبْكِي الدِّيارَ كماَ بَكى ابنُ خِذَامِ

وأكد عنترة الأمر نفسه، بأن الشعراء سبقوه بشعرهم، ولم يتركوا له ولبني جيله غرضا لم يطرقوه، حيث قال:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمِ**أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

لكن الدارسين أجمعوا على أن البدايات كانت عبارة عن سجع، ثم تطور فأصبح رجزا. حيث كان العرب "يرتجزون على البديهة، فإذا ساروا بالإبل ارتجزوا، وإذا امتحوا الماء ارتجزوا، وإذا احتربوا وتفاخروا ارتجزوا، فكأن الرجز نمط من القول تقذفه البديهة إلى اللسان بلا عنت وحصر"[1]. وبعد أن رجزوا وتمكنوا من ذلك "وألفت أسماعهم إيقاعه ركبوا من لغته تراكيب جديدة، وقلبوها على تراكيب مبتكرة، فانكشفت لهم أوزان، انطلقت بها الألسنة، وطربت لها القلوب"[2].

حيث كان الشعر عبارة عن حذاء "يحدون به الإبل من أقدم زمانهم بكلام وأصوات تشبه التوقيع؛ لأنه من المعلوم بالضرورة أنه لا ينفس من التعب ولا يبعث عن النشاط غير الأصوات الموقعة على وزن ما، وقد نقل ابن رشيق في العمدة أن أصل الحُداء عندهم من النَصَبِ، وهو غناء الركبان والفتيان...ثم انتبه الصائح إلى تتابع هذه الحركات، ووافق ذلك رفيف قلبه واهتزاز نفسه وتحريك الحمية والإعجاب، فقفى على البيت بآخر؛ وكان هذا سبب الانتباه إليه والشعور به، ثم شاع بينهم بعد ذلك وقصدوا إليه قصدا في أغراضهم التي مثلت لهم بعد ذلك ... فتبعوا الوزن وبنوا عليه ورتبوا فيه المحاسن التي يقع الاضطراب بوزنها وتهش النفوس إليها، ثم خصوه بعد ذلك بما ينصرف إليه القول من وجوه التفاصح، وكان ذلك سببا في إطالته وإحكامه... وتلك العناية منهم بها مما يرجح

---

1 . غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الرشاد، حمص، سوريا، ط1، 1992، ص:21.

2 . المرجع نفسه، ص:22/21.

عندنا أن أصل الاهتداء إلى الوزن إنما كان بالقافية وما فيها من الرنين وما وافق من ذلك حمية الجاهلية كما سلفت الإشارة إليه. وعلى هذا كان لا بد من الأوزان التي نظموا بها من موافقة المعنى في حركاته النفسية، للوزن في حركاته اللفظية، حتى يكون هذا قالب ذاك؛ وإذا أنت اعترضت شعر الجاهلية فإنك ترى كل بحر من البحور مخصوصا بنوع من المعاني...وهذه الأسرار الدقيقة هي التي امتاز بها الشعر العربي على كل ما سواه من أشعار الأمم"[1]

ويرى ابن سلام الجمحي أن "أول من قصد القصائد ... وذكر الوقائع المهلهل ابن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كُليب وائِل"[2]. ثم جاءت المعلقات، وهي قصائد طوال. من خيرة ما قصد في الجاهلية.

2. أسبقية قرض الشعر:

واختلفت العرب لمن الأسبقية في تطويل القصيدة، وقد أجمل السيوطي هذا الخلاف في مزهره "للشعر والشعراء أوَّلٌ لا يوقف عليه، وقد اختلف في ذلك العلماء وادعت القبائل كل قبيلة لشاعرها أنه الأول، ولم يدَّعوا ذلك لقائل البيتين و الثلاثة لأنهم لا يسمون ذلك شعرا فادعت اليمانية لامرئ القيس وبنو أسد لعبيد بن الأبرص وتغلب للمهلهل وبكر لعمرو بن قميئة والمرقش الأكبر وإياد لأبي دؤاد، قال: وزعم بعضهم أن

---

1 . مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، ص:18/17.

2 . محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج01، شرحه: محمد محمود شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1974، ص: 26 و39.

الأفوه الأودي أقدم من هؤلاء وأنه أول من قصد القصيد، قال: وهؤلاء النفر المدعّى لهم التقدم في الشعر متقاربون، لعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها"[1].

هكذا مرت القصيدة العربية الجاهلية بمراحل عديدة، تطورت من خلالها، مذ كانت عبارة عن سجع، وهو شكل من أشكال النثر، ثم حذاء، ثم رجز، ثم مقطوعات شعرية موزونة ومقفاة، حتى أصبحت قصائد طوال، على نظام واحد من المعاني والموضوعات، يقفون فها غالبا على الأطلال ثم ينتقلون فيها إلى الهيكل وهو مجموع الموضوعات الشعرية في القصيدة، لاسيما منها الموضوع الأساسي، ويختمونها فخاتمة القصيدة التي غالبا ما تكون حكمة تبقى على مر الزمن.

1 . جلال الدين السيوطي، المزْهِرْ في علوم اللغة وأنواعها، ج20، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، ص:477.

المحاضرة السابعة:

شعر الصعاليك والخروج على نموذج القصيدة القبلية

1- تعريفها:

الصعلكة ظاهرة اجتماعية عرفها المجتمع الجاهلي نتيجة للتفاوت الطبقي وانعدام المساواة بين الناس، وشح الطبيعة، وعسر العيش، وظلم الأقارب، وقساوة المحيط.

والصعاليك شبان فقراء تقوم حياتهم على الغزو والنهب، وكانوا كرماء يجودون بما ينهبون أداء لما يرونه واجبا. ويُسمَّون بالعدائين؛ اشتهروا بشرعة العدو عند النهب، قال تأبط شر[1]:

لا شيء أسرعُ منّي ليس ذا عُذرٍ ***وذا جناح بجنب الرَّيد خفَّقِ

2- ميزاتهم وخصالهم:

وكانوا مع فقرهم نبلاء، ومن نبلهم أنهم كانوا لا يسرقون إلا الأغنياء الأشقاء. أما الكرماء منهم فلم يكونوا يُؤذونهم. وكانوا ـ خاصة عروة ـ يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، مما جعل معاوية بن أبي سفيان يتمنى لو أنه صاهر عروة بن الورد، وجعل عبد الملك بن مروان يتمنى لو أن عروة كان أباه فالظاهر أن كلمة صعلوك لم تكن تدل

---

1 . علي البيهي، قضايا في أدب الجاهلية . دراسة نقدية، زاوية للفن والثقافة، ط1، 2006، المغرب، ص:117.

على معنى سيء بقدر ما كانت تدل على الفقر والحاجة. ولقد كوّن الصعاليك جمعية من فقراء قومهم يصرفون عليهم بالتساوي ما كسبوه[1]. يقول عروة بن الورد[2]:

أُقسِّم جسمي في جسوم كثيرة***وأحسوا قراح الماء والماء باردُ

فأي تفضيل أعظم من أن يفرق طعامه وغذاءه الذي ينمو به جسمه على غيره ويؤثر به، ويكتفي هو بالماء الخالص غير الممزوج باللبن في الشتاء؛ حيث الجسم أحوج إلى الغذاء.

وأساس الصعلكة هو الكرم، مع النجدة. أي العمل من أجل الجماعة بإنجادهم من براثن الفقر والجوع. وذلك بالإغارة وتقسيم الغنيمة بين الصعاليك. فإذا انعدمت هذه الخصلة، كان الصعلوك رديئا خاملا. وقد ميز عروة بين نوعين من الصعاليك: صعلوك نشط وصعلوك خامل. فقال في الصعلوك الذي يركن إلى الأرض، ويقنع باليسير، وتنعدم فيه روح الجماعة[3]. ما يلي[4]:

لحىَ اللهُ صعلوكا إذا جن ليله***مصافي المشاش آلفا كال مجزِرِ

قليل التمـاس الزاد لنفسه***إذا هو أمسى كالعريش المجوَّرِ

يُعين نساء الحيِّ ما يستعنَّهُ***ويُمسي طليحا كالبعير المحسَّرِ

---

1 . المرجع السابق، ص: 118.

2 . الديوان، تح: أسماء أبو بكر، ص:61.

3 . علي بيهي، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

4 . الديوان، ص:68.

وقال في الصعلوك الذي جمع كل ميزات الصعاليك:

ولكن صعلوكا صفيحة وجهه***كضوء شهاب قابس المتنوِّرِ

مطّلاً على أعدائه يجزرونه***بساحتهم زجر المنيح المشهَّرِ

فذلك إن يلقَ المنيَّة يلقها***حميداً وإن يستغنِ يوما فأجدرِ

ويوجد ضرب أخر من الصعاليك، ينتمي فيه الصعلوك إلى القبيلة الكبيرة، تصعلك لظروف خاصة، وعومل معاملة الصعاليك، من أولئك طرفة بن العبد[1]، القائل في معلقته[2]:

وما زال تِشرابي الخُمورَ ولذَّتي***وبَيعِي وإنْفَاقِي طَرِيفِي ومُتْلَدِي

إلى أنْ تَحَامَتْني العشيرةُ كُلَّهَا***وأُفرِدتُ إفرادَ البَعِيرِ المعبَّدِ

رأيتُ بني غبراءَ لاَ يُنكِرونَني* **ولا أهْلَ هَذَاكَ الطِّرافِ الممدَّدِ

اشتهر كثير من العرب بالصعلكة وكان أشهرهم عروة بن الورد، وتأبط شرا، والشنفرى، والسُّليك بن السَّلكة، لأنهم هم الزعماء منهم، أو لأنهم جمعوا بين الصعلكة والشاعرية التي أظهرتهم.

---

1 . علي البيهي، مرجع سابق، ص: 120.

2 . الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص: 115.

3 . أسباب الصعلكة:

وكانت الصعلكة نتيجة للحالة الاجتماعية في جزيرة العرب. فأكثر الصعاليك كانوا فقراء لا يجدون ما يأكلون، وإن حصلوا على شيء من غارة، استأثر شيخ القبيلة بالنصيب الأوفر منه، وترك لهم الفتات. فكانت حالهم شبيهة بحال شعب فقير. بينما رؤساؤهم ينعمون في غنى وبحبوحة من العيش. لم يكم من سبيل للتحرر من هذا الوضع إلا التمرد على القبيلة وأعرافها الجائرة. والإغارة على الأغنياء الأشحاء. ولكن لا يشبه الصعاليك هؤلاء البخلاء فرضوا على أنفسهم أ يفرقوا بينهم بالتساوي ما جمعوه حتى لا يكون بينهم فقير وغني أو رئيس ومرؤوس. وبذلك كانوا مجتمعا خاصا يقوم على اشتراكية هي أسمى من اشتراكية سهروا أنفسهم على تنفيذها[1].

يضاف إلى هؤلاء الصعاليك الفقراء أفراد خلعتهم قبيلتهم لارتكابهم جريرة لم ترضها القبيلة. فلَمَّا خُلِعُوا لم يجدوا إلا الصَّعلكة يتأسون بها عن خلعهم. لهذا كان مجتمع الصعاليك يتألف من ثلاث فئات[2]:

1. أنباء الفقراء الذين أغمطوا حقهم وعاشوا في الظل.

2. الأغربة السود، وهم أبناء الإماء، الذين كانوا في الدرك الأسفل من طبقات المجتمع، وسمّوا بذلك نسبة للون هذا الطائر.

---

1 . علي البيهي، قضايا في أدب الجاهلية، ص:121.

2 . المرجع نقسه، ص: 122.

3. الذين خلعتهم قبائلهم وطردتهم، من حماها بسبب ما ارتكبوه مما لا تبيحه القبيلة أو تطيقه.

4 . مشاهير الصّعاليك:

ومن مشاهير الصعاليك، ومن شعرائهم، عروة بن الورد، كان يتغنى بالصعلكة، وينهى زوجته عن التعرض لسيره، مثل قوله[1]:

ذريني أُطوِّفُ في الباد لعلني***أُخلِّك أو أغنيك عن سوء محضري

فإن فاز سهم للمنية لم أكن***جزوعا، وهل عن ذاك من متأخِّرِ

وإن فاز سهمي كفُكم عن مقاعد***لكم خلف أدبار البيوت، ومنظرِ

فعروة مثال للمعنى الإنساني، وللشجاعة والإقدام.

وثاني الصعاليك شهرة هو الشنفرى، الذي يصور معنى الشجاعة والنهب والسّلب. أي أن الشنفرى يمثّل الوسيلة، وعروة بمثابة الغاية. ولربما كانت لفظة الشنفرى تدل على ذلك، لأن معانيها الغليظ الشفتين. وقد فقد الشنفرى توازنه الاجتماعي حتى صار لا يُقام له وزن. وفي شعره يكثر ذكر هزاله، وتشرده في الصحراء ومقاومته الجوع... وشعر عروة أكثره في الحديث عن غيره، وأكثر شعر الشنفرى في نفسه. لهذا كان شعر

1 . الديوان، ص:67.

عروة رقيقا لطيفا. بينما شعر الشنفرى جافا غليظا[1]. وأشهر قصائده، لاميته، التي تسمى لامية العرب، يقول فيها[2]:

أقيموا بني أمي صدور مطيِّكم ***إنّي إلى قوم سواكُمُ أميَلُ

فقد حُمَّتِ الحاجات والليل مقمرٌ***وشدَّت لطيَّات مطايا وأرحلِ

5 . شعر الصعاليك، وخصائصه[3]:

والمؤكد في حياة الصعاليك، على اختلاف الدوافع التي ألجأتهم إلى التصعلك، أنهم جميعا فقدوا توافقهم الاجتماعي الذي هو أساس الصّلة بين الفرد والمجتمع.

وبذلك عملك النظم الاجتماعية والظروف الاقتصادية على خلق طبقة الصّعاليك. وقد وحد بين هؤلاء وجمع بينهم الجوع المدقع والضياع في مجاهل الصّحراء والتشرّد في الفيافي الموحشة، والتمرّد على واقع مرفوض عندهم. وقد نظم الصعاليك شعرا كثيرا، بعضه في أشخاصهم، وبؤسهم، وبعضه في إنسانيتهم، وهو يصور جانبا كبيرا من جوانب الحياة العربية، ويحمل رسومات مفصلة لخارطة بلاد العرب، وأكثر شعر الصّعاليك مقطوعات لا قصائد. ولعل الأمر راجع إلى حياتهم التي لم تكن تعرف الاستقرار، أو

---

1 . علي البيهي، المرجع السابق، ص: 123.

2 . ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، ص: 72.

3 . يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط2، 2010، ص: من 264 إلى 319. (بتصرف)

ربما كان راجعا إلى الضياع الذي اعترى أكثر شعرهم. أما لامية الشنفرى فلعلها نُظمت في حال استقرار تستدعي الطول[1].

ومن خصائص شعر الصعاليك:

1 . الوحدة الموضوعية:

فشعرهم في الصعلكة من جميع نواحيها. وقد ألجأتهم حياة السلب والتوزيع أن يكون شعرهم واقعيا، فهم ينظمون فيما هو كائن وفيما يفعلون. والملاحظ في شعرهم الذي وصلنا غياب المقدمات الطللية والغزلية. أما الذي كان يكثر فهو الحوار الساخن بين الصعلوك وزوجته، التي لا تكف عن لومه على الأخطار التي يرمي بنفسه فيها. فيسألها ألا تُكثر لومه في سيرته.

فالناظر إلى شعر الصعاليك تلفت نظره تلك الوحدة الموضوعية في مقطوعاته وأكثر قصائده، بحيث يستطيع أن يضع لكل مقطوعة عنوانا خاصا بها، دالا على موضوعها، وهي ظاهرة لم تعرفها قصائد الشعر الجاهلي القبلي في مجموعه.

فعند تدقيق النظر في قصائد الصعاليك، تلك التي تتحدث معظمها عن: سرعة العدو، أو الفرار أو تقرير فكرة اجتماعية، أو اقتصادية، أو غير ذلك من الموضوعات، وهي ترجع عادة إلى أصل موضوعي واحد لتتفرع منه. فليس التعدد هنا تعدد في الموضوع

---

1 . علي البهي، المرجع السابق، 124.

وإنما هو تفرع في الموضوع. وهناك القليل من قصائد الصعلكة يتفرع منها موضوعان لا غير مثل: تائية الشنفرى، وقافية تأبط شرا..

2. ظاهرة التخلص من المقدمات الطللية:

وهذا طبيعي مادام الشعراء الصعاليك حريصون على الوحدة الموضوعية في شعرهم، إذ أن المقدمة الطللية تخل بهذه الوحدة الموضوعية.

وقد استعاضوا بالمقدمة الغزلية، بالحديث عن المثالية الحريصة على حياته. إن لم تكن من أجله فمن أجلها هي. وها هو عروة بن الورد، فكثير من قصائده ومقطوعاته تبدأ بحوار بينه وبين صاحبته، أو لعلها امرأته كما يقول رواة شعره، وهي تلومه على كرمه وإسرافه، وتعاتبه على مخاطرته بحياته، وتغريه على البقاء إلى جانبه. تارة بمعسول القول:

تقول سُليمَى لو أقمت لسرَّنا***ولم تدر أني للمقام أطّوّف

وتارة أخرى بحار الدمع الذي ينهال من عينيها:

تقول ألا أقصر عن الغزو واشتكي***دامع لها القول طرف أحور العين

وفي بعض الأحيان يبادرها هو بالحديث إليها.

3. ظاهرة عدم التصريع في قصيدة الصعلكة:

وهذا راجع إلى تلك الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم، وإلى تلك الحرية التي كانت تصبو إليها نفوسهم، وإلى تلك الحرية التي كانوا يعيشونها. والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم، وبالتالي كان شعرهم ثائرا على

الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي، وقد ظهر التصريع في مقطوعات شعرية قليلة جدا.

وقد عرف ابن رشيق التصريع بأنه ما كانت عروض البيت الشعري، فيه تتبع الضرب. فتزيد بزيادته وتنقص بنقصانه. وقال قدامة بن جعفر: هو أن يعمد الشاعر لجعل مقطع أول مصراع من البيت الشعري في القصيدة مثل قافيتها.

4. التحلل من الشخصية القبلية:

ما دامت الروابط القبلية قد تقطعت بين الشاعر وقبيلته، فلا نجد تجسد الشخصية القبلية في شعره. وما دامت الصلة بين الشاعر والقبيلة انقطاعا اجتماعيا فقد انقطعت كذلك فنيا.

5 . القصصية:

فشعر الصعاليك في مجموعه، شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالأحداث المثيرة التي تصلح مادة طيبة للفن القصصي. وقد استغل الشعراء الصعاليك هذه المادة القصصية في شعرهم استغلالا قصصيا رائعا، جمع في صورة بسيطة عناصر الفن القصصي الأساسية من الإثارة والتشويق وتسلسل الأحداث، حتى تصل إلى الغاية المحتومة الطبيعية.

6 . الواقعية في شعر الصعاليك:

وأول مظاهر (الواقعية) في شعرهم اتخاذهم الحياة بما فيها من خير وشر، مادة لموضوعهم الشعري، وبعدهم عن الإمعان في الخيال إمعانا ينقلهم من عالم الواقع إلى عالم الأوهام بسحبه العالية، وأبراجه العاجية. فقد صور الشعراء الصعاليك في شعرهم البيئة التي يعيشون فيها بكل مظاهرها، الصحراء القاسية بشعابها وجبالها وأغوارها... وأحول معيشتهم وقساوتها... مع مطابقة كل هذه التفاصيل للواقع.

7. السرعة الفنية:

لاحظنا من مظاهر هذه السرعة الفنية انتشار المقطوعات الشعرية، والقصائد القصيرة في شعرهم. وتخلصهم من المقدمات الطللية، ومن التصريع، وهي مظاهر ترجع إلى الشكل العام أو البناء الخارجي للعمل الفني.

وحين نمضي إلى داخل البناء الفني لشعر الصعاليك نجد أن أقوى . مظاهر هذه السرعة الصنعة الفنية في شعرهم، بحيث لا يكاد الناظر فيه يلمح آثار التجويد الفني المتمهل الواضح الأنا، وإنما هو حديث سريع تتدفق من نفس الشاعر دون أن يحرص على أن يتمهل هنا أوهناك لينمقه أو يشوبه بتلك الألوان الفنية المختلفة التي يحرص عليها الشعراء غيرهم.

فالشعر عند الشعراء الصعاليك لم يكن حرفة تقصد لذاتها، ويفرغ صاحبها لتجويدها، وإنما كان شعرهم وسيلة يسجلون بها مفاخرهم أو ينفسون بها عما تضيق به صدورهم.

8 . الخصائص اللغوية:

حافظ الشعراء الصعاليك على لغتهم التي تمثل هويتهم، وهي أقرب إلى الفطرة وأصدق تمثيلا، ولعل هذا هو السبب في كثرة ما يرد من شعر الصعاليك في المعاجم اللغوية.

كثرة الغريب في شعرهم حتى ليشعر الناظر فيه أحيانا أنه أمام مجموعة من الطلاسم اللفظية، يضطر أمام كل لفظ منها إلى الرجوع إلى المعاجم المطولة، لأن المختصرة لا تسعفه.

9 . الخصائص العروضية:

حافظ الشعراء الصعاليك على الأوزان العروضية المعروفة، لكن استعانوا كثيرا بالرجز الذي يلائم الحالة الصراعية والقتالية والاستعجالية التي يعيشونها.

المحاضرة الثامنة:

الإسلام والشعر

. توطئة:

عندما نزل الوحي على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كان ميلاد عهد جديد على البشرية جمعاء؛ حيث انتقلت الحياة القبلية من حياة جاهلية تلفها السفاهة والظلم والعصبية واللهو والمجون، إلى حياة يحكمها نظام إسلامي، مبدؤه العدل بين الناس، والغلبة للتقي الذي يعمل الصالحات، لا وجود فيها للتعصب والمحاباة الظالمة، بل فيها نصرة للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم وللمسلم.

وبتغير الحياة الدينية تغيرا جذريا، التف فيه الناس حول القرآن يحفظونه ويتدارسونه، منبهرين بإعجازه اللاّمتناهي، وبحلاوته وسحره على القلوب والعقول. وابتعدوا رويدا رويدا عن قرض الشعر أو حفظه. أما شعراء الكفار، فبقوا على حالهم من قرض الشعر خاصة منه هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم، وهجاء المسلمين، وبات الشعراء الإسلاميون يقدمون أنفسهم فداء لدينهم ورسولهم بشعرهم الذي كان ينزل على كفار قريش كشهب حارقة. وكان رد فكيف نظر الإسلام إلى الشعر، وما موقفه منه؟ وما هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه؟

1 . رأي القرآن الكريم من الشعر والشعراء:

إن الإسلام دين دنيا وآخرة، ولهذا لم يترك لا شاردة ولا واردة، لم يوضحها، ويضعها في موضعها الأصح. وكان للشعراء وشعرهم حظ في القرآن الكريم، لما كان له من أهمية كبرى في حياة الجاهلي، الذي كان يقيم الولائم لنبوغ شاعر.

ولعل أول ما يبدو لنا هو أن مشركي قريش حين أخذوا يستمعون إلى الآيات المنزلات، أصابهم نوع من الذهول والفزع، فاحتاروا بما يصفون به هذا الكلام الذي لا عهد لهم بمثله من قبل، فتارة يجعلونه سحرا، وتارة يجعلونه أضغاث أحلام، وتارة أخرى يجعلونه افتراء واختلاقا. ولكنهم هم أنفسهم . في الحقيقة . لم يقتنعوا بهذه المفتريات، فكان أن قالوا هو شاعر، تلك هي حالتهم في أول أمرهم، فرب العالمين يقول في وصف واقع أمرهم: "قَالَ الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ"[1]

وقال عزّ وجلَّ أيضا "بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُون"[2]. ثم يزدادون تعنتا وتمسكا بكفرهم وعبادتهم لآلهتهم وأوثانهم، وفي الوقت ذاته يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون مع الشعر، فيقول رب العالمين بشأن الحالة التي وصلوا إليها من الحيرة والهذيان: "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ"[3]. وتولى الله الردّ على مزاعمهم توضيحا وتخليصا لهم مما هم فيه من الارتباك والضلال، فقال عزَّ من قائل: "وماَ هُوَ بِقَوْلِ شاَعِرٍ قَلِيلاً ماَ تُؤْمِنُونَ"[4]، ثم يؤكد لهم ذلك في مناسبة أخرى حين يقول: "وَماَ عَلَّمْناَهُ الشِّعْرَ وَماَ يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ"[5][6].

---

1 . يونس/2

2 . الأنبياء/5

3 . الصافات/36.

4 . الحاقة/41.

5 . يس/69.

6 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، ط1، بيروت، لبنان، 1993، ص:126.

إن الذي يستمع لهذه الآيات ويتدبرها، خاصة منها الأخيرة، يجد أن الله تعالى، رد على المشركين ردا واضحا، بأن الرسول ليس بشاعر، ولا ينبغي له أن يكون شاعرا، لأنه رسول الله إلى العالمين. أما صفة الشعر فهي تنبغي لغيره. وهنا نطرح السؤال الملحاح، مادامت لا تنبغي الشاعرية للرسول صلى الله عليه وسلم، وتنبغي لغيره، فما حدودها؟ وهل أجاز الله الشعر لغير رسول الله، ولم يضع له قواعد تحكمه؟ وطبعا وضح الله لنا هذه الحدود في محكم تنزيله، وبالضبط في سورة الشعراء، حين قال "والشُّعَرَاءُ يَتْبَعُهُمُ الغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ(226)"[1]. هنا تتوضح لنا حدود الله في قول الشعر، فالذين لا يعملون بها هم الغاوون الذين يقولون في كل الموضوعات بكل غطرسة وهجاء مدقع وعصبية مفرطة، ولقد تناول المفسرون أية الشعراء فرأوا أنها تتناول شعراء المشركين الذين آذوا الرسول صلى الله عليه وسلم بهجائهم له ولأصحابه. يقول الحسن البصري:"قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتيمة فلان، ومرة في مديحة فلان،" وقال ابن عباس:"أكثر أقوالهم يكذبون فيها، ويعلق ابن كثير في ذلك، فيرى أن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثرون بما ليس لهم[2].

ويروي السيوطي في تفسيره أنه لما نزلت هذه الآية، جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، فقالوا، وهم يبكون:يا رسول الله، قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، وهلكنا. فأنزل الله "إِلاَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا الله

---

1 . الشعراء/ 224، 225، 226.

2 . انظر، نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن ابن كثير، مختصر، آية الشعراء.

كَثِيراً وانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ماَ ظُلِمُوا"[1]. فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها عليهم وقال(أنتم)[2].

ويوضِّحُ الزمخشري المراد بهذه الصفات فيقول: "هم المؤمنون الصالحون الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر، وإذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه، والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة وصلحاء الأمة، وما لا بأس به من المعاني، التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا مَنْقصةٍ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجونهم"[3].

2 . موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر:

رأينا فيما سبق أن الشعر مشروع بالنص القرآني، مادام لا يجانب الصواب، ولا يضرب أعراض المؤمنين، ولا يخدش حياء. وأنه يصب في مجرى تروية الدعوة الإسلامية، وحب الله ورسوله. أما ما كان لغير ذلك فهو محرم. كما رأينا أن الله تعالى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يختص به، إذ أكد في محكم تنزيله أنه لا ينبغي له. لعدة أسباب منها نفي الشاعرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اتهمه الكفار بأنه شاعر. وكذلك نفي الزعم أن القرآن الكريم هو شعر، بل هو كلام الله المنزل على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وعليه نجد موقف الرسول صلى الله عليه وسلم إزاء الشعر والشعراء واضح لا غبار عليه، ملازم لما جاء في القرآن الكريم. وهو الذي أقر بأنه لم يحب مطلقا قول الشعر،

---

1 . الشعراء/227.

2 . نايف معروف، المرجع السابق، ص:128.

3 . الزمخشري، الكشاف، ج2، ص:441.

حين أجاب الرجل العامري الذي كان قد سأله عن حقيقة نبوته: "فلماً نشأْتُ بُغِّضَت إليَّ أَوثان قريش وبُغِّضَ إليَّ الشعرُ"[1].

لكن هذا لم يمنع من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أثنى على الشعر الذي فيه خير للأمة وفيه مؤازرة للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين. وقو القائل: "إنَّ من الشِّعر لحكمة وإنَّ من البيانِ لسِحرًا".

وكان صلى الله عليه وسلم إذا استشهد بالشعر في خطبه، لا يقول منه بيتا كاملا، إنما كان يكتفي بقول الشطر الواحد، أو يقول البيت على شكل حكمة منثورة، أو يقوله مبعثرا، والصحابة يردوه إلى أصله. "وكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتمثل ببيت الشعر دون أن يقيم وزنه، كما فعل ببيت طرفة بن العبد. فقد سُئِلَتْ السيدة عائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر؟ قال: كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقد قرأ الشطر الثاني من البيت"[2]:

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ ماَ كُنْتَ جاَهِلاً**وَيَأْتِيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ يُزَوَّدِ

واستشهد صلى الله عليه وسلم بأشطار أبيات، فقد مكتفيا بذلك لا أكثر "أما بخصوص رواية الشعر فقد تواترت الأخبار على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يروِ بيت شعر كاملا قطُّ، إلا أنه روى أشطار أبيات، ونحن نعلم أن شطر البيت لا يتحقق فيه معنى الشعر وواقعه، إذ رُوِيَ أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمة لبيد) أَلاَ كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ"[3].

---

1 . الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، ج1، بيروت، لبنان، ص: 575.

2 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن: الطبري: تفسير، 23/19، الرازي: تفسير، 111/7.

3 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن: عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان، 1454. 1455.

وكما نجده صلى الله عليه وسلم، يشجع على الشعر الذي فيه حكم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق، نجده ينهى عن الشعر لا الذي يأجج نار الفتنة بين المسلمين، أو يمس أعراض المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قَالَ فِي الإِسْلاَمِ هِجَاءً مُقْذِعاً فَلِسَانُهُ هَدْرٌ"[1].

وكان الرسول صلى اله عليه وسلم يستنشد أصحابه، فينشدونه من خيرة الأشعار، فقد أُنْشِدَ يَوماً قول عنترة العبسي:

وَلَقَدْ أَبِيتُ عَلَى الطَّوى وَأَظَلُّهُ**حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المِأْكَلِ[2]

فيُعجبه هذا الجود والإيثار، فيقول: (ماَ وُصِفَ لِي أَعرَابِيٌّ قَطُّ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَاهُ إلاَّ عَنْتَرَة"[3].

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مدركا لقيمة الشعر ومدى تأثيره في النفوس، ولهذا استنفر شعراء الإسلام لنصرة نبيهم ودينهم وأمتهم بشعرهم. وخير مثال عن هذا، عندا قال لحسان بن ثابت: "نعم، أهجهم أنت، فإنه سيعينك عليهم روح القدس"[4]. ثم وجهه إلى أبي بكر ليعلمه مثالب القوم وأيامهم واحسابهم، ليكون صادقا فيما يرميهم به، فيكون أشد وقعا عليهم، فكان أنه لما بلغ قريشا شعر حسان اتهموا أبا بكر، فقالوا: "إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة"[5]. ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا من قريش، فقد قال له فكيف بنسبي؟). فقال حسان: "لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَماَ تُسَلُّ

---

1 . ابن رشيق، العمدة، 162/2.

2 . الأصفهاني، الأغاني، 7/3 . 8.

3 . المصدر نفسه، 243/8.

4 . ابن رشيق، العمدة، 18/1.

5 . الأصفهاني، الأغاني، 143/4.

الشَّعْرَةُ مِنَ العَجينِ"[1]. كان الرسول من شدة إعجابه بشاعرية حسان بن ثابت، وقوة كلته على الكفار، كان يضع له منبرا في المسجد، فينشد ما قاله في الشعر في هجاء الكفار، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يثني عليه، ثم يقول: "لَهَذاَ أشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وقع النَّبْلِ"[2].

وإن أول ما جرى به لسان حسان بن ثابت، حين سله على قريش، جاء تحديا لأبي سفيان بن الحارث، حين قال:

هَجَوْتَ مُحَمداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ**وَعِنْدَ اللهِ فِي ذاَكَ الفِدَاءُ

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (جَزَاءُكَ عِنْدَ الله الجَنَّةَ ياَ حسَّان)، فلماَّ قال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالدَهُ وَعِرْضِي**لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

قال له الرسول صلى الله عليه وسلم (وَقَاكَ الله حَرَّ النَّارِ)[3]، فقضى له بالجنة مّتين في ساعة واحدة، جزاءً لنجاحه الباهر في الردّ على ألسنة السُّوء من أعداء الله[4].

وبقدر ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم، يحث الشعراء المسلمين على قول الشعر الذي فيه نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصرة الدين والمسلمين، وكان يشجعهم. كان من جهة أخرى يوصي بهدر دم كل من سولت له نفسه بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ويتعرض لأعراض المسلمين. والأمثلة على ذلك كثيرة، "ومنهم أبو

---

1 . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 . ابن رشيق، العمدة، 14/1.

3 . الأصفهاني: الأغاني، 139/4.

4 . ابن رشيق، العمدة، 39/1.

عَفَك أحد بني عمرو بن عوف، وكان ظهر نفاقه حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سُويد بن صامت، فرثاه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ لِي بِهَذَا الخَبِيثِ) فخرج إليه سالم بن عُمَير فقتله"[1].

مما سبق نستنتج أن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف موقفا وسطا إزاء الشعر والشعراء، فقد كان عارفا بقيمة الشعر وأنه يفعل ما يفعله الكلام الذي يؤثر في النفوس، فقال: "إِنَّمَاَ الشِّعْرُ كَلاَمٌ مُؤَلَّفٌ، فَماَ وَافَقَ الحَقَّ مِنْهُ فهوَ حَسَنٌ، وماَ لَمْ يُوَافِقْ الحقَّ منه فلاَ خَيْرَ فيهِ". وفي رواية أخرى: "الشِّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الكَلاَمِ، حَسَنُهُ كحُسْنِ الكَلاَمِ، وقَبِيحُهُ كَقَبيحِ الكَلاَمِ". وفي رواية ثالثة: "إِنَّمَاَ الشِّعْرُ كَلاَمٌ، فَمِنَ الكَلاَمِ خَبِيثٌ وطَيِّبٌ"[2]. فما كان في خدمة الإسلام والمسلمين فهو مبارك، وما كان في غير ذلك فهو مرفوض، وهذا الموقف يتماشى مع المعنى الذي جاء في سورة الشعراء وعرضته سابقا. والمعيار هنا هو معيار أخلاقي بالدرجة الأولى.

3 . موقف الخلفاء الراشدين من الشعر:

1 . موقف أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه: كان الصحابي الجليل عارفا بقيمة الشعر، وأثره البالغ في النفوس. فكان كثيرا يستشهد بأشعار الجاهلية. وقال مرة يخاطب الأنصار: فنحن وأنتم كما قال الغنوي:[3]

جَزَى الله عَناَّ جَعْفَراً حينَ أَزْلَقَتْ**بِناَ نَعْلُناَ في الواَطِئِينَ فَزَلَّتِ

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّوناَ، وَلَو كَانت أُمُّناَ**ثُلاَقِي الذي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

---

1 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن: ابن هشام، السيرة، 637/2.

2 . المرجع نفسه، عن: ابن رشيق، العمدة، 14/1.

3 . الصولي ، أدب الكتاب، ص:190.

هُمْ أَسْكَنُوناَ فِي ظِلاَلِ بُيُوتِهِمْ**ظِلاَلِ بُيُوتٍ أَدْفَأَتْ وَأَكَنَّتْ

ولم يتوانَ أبدا في توثيق رحلته الميمونة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة، والتجاؤهما إلى غار ثور، فقد ورد عنه قوله[1]:

قال النبيُّ. ولمْ يَزَلْ يُوَقِّرُنِي .**ونَحْنُ فِي سُدَفٍ مِنْ ظُلْمَةِ الغَارِ

لاَ تَخْشَ شَيْئـاً فَإِنَّ الله ثَالِثُناَ**وَقَدْ تَـوَكَّلَ لِي مِنْهُ بِإِظْهـــَارِ

وإِنَّمَا كَيْدُ مَنْ تَخْشَى بَوَادِرَهُ**كَيْدُ الشَّيـــاَطِينِ كاَدَتْهُ لِكُفَّــارِ

والله مُهْلِكُهُمْ طُرًّا بِماَ كَسَبُوا**وجاَعِلُ المنْتَهَى مِنْهُمْ إلى النَّارِ

ومن شدة تعلقه بالشعر الذي يتفق مع المفاهيم الإسلامية، فقد تمثَّلَ في مرضه الذي توفي منه[2]:

وَكَلُّ ذوُ إِبِلٍ مَوْرُوثُ**وكُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ

وكُلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُوبُ**وغاَئِبُ المَوْتِ لاَ يَؤُوبُ

إلا أَنَّ آخر ما تمثل به قبيل وفاته، كان قوله تعالى: "تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بالصَّالِحِينَ"[3].

2. موقف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الشعر:

---

1 . ابن كثير، البداية والنهاية، 182/3.

2 . الطبري، تاريخ، 423/3.

3. يوسف/101.

كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أكثر المعجبين بالشعر، إنشادا وسماعا، حتى أنه قيل "كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر"[1].

ورُوِيَ أنه خرج يوما، وقد لبس بُرْداً جَديدا، فنظر إليه الناس نظرا شديداً، فتمثَّلَ قائلا[2]:

لَمْ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْماً خَزائِنُهُ**والخُلْدَ قَدْ حاوَلَتْ عادٌ فَماَ خَلَدُوا

أينَ المُلُوكُ التِي كانَتْ نَوافِلُهاَ**مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهاَ راكِبٌ يَفِدُ

حَوْضٌ هُنالِكَ مَوْرُودٌ بِلاَ كَذِبٍ**لاَ بُدَّ وِرْدِهِ يَوْماً كَماَ وَرَدُوا

يبدو لنا أن عمر كان ينظر إلى الشعر نظرة إكبار وإعجاب، ويجدر بالمسلم أن يتعلمه ويرويه، لما فيه من مكارم الأخلاق والحكمة التي ينشدها العقلاء، فقد قال مخاطبا جماعة المسلمين: "تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تُبتغى ومساوئ تُتْقى، وحكمة للحكماء، ويدل على مكارم الأخلاق"[3].

كما كتب لأبي موسى الأشعري (واليه على العراق):"مُرْ مِنْ قِبَلِكَ بتَعلُّمِ الشِّعرَ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلى مَعالِي الأخلاقِ، وصَوابِ الرَّأْيِ، ومَعْرِفَةِ الأنسابِ"[4].

---

1 . الجاحظ، البيان والتبيين، 241/1.

2 . ابن رشيق، العمدة، 20/1.

3 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، 170، عن: السمعاني، أدب الإملاء، ص:71.

4 . نايف معروف، عن: ابن رشيق، العمدة، 15/1.

وكان أكثر ما يكرهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الهجاء الذي يثير الأحقاد بين الناس، وبخاصة ما كان بين الأنصار ومشركي قريش، وقد جمعهم الإسلام بعد فتح مكة. فحارب ذلك باستماتة.

المحاضرة التاسعة:

شعر الدعوة

. توطئة:

بعد أن عرضت موقف الدين من الشعر، المتمثل في عدم تحريمه كله إلا ما كان منه في الغواية، وهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم، بات من الضروري معرفة طبيعة شعر الدعوة الإسلامية، لمعرفة من هم رواده؟ وما هو غرضه؟

عندما بدأ الكفار بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم، كان لا بد له من الرد عليهم بمثل ما جاؤوا به، فجند لهم جنودا لها أسنة صارمة، كانت تقع على أسماعهم بشعر أشد عليهم من وقع النبال، وأحد عليهم من السيوف المهندة.

1. شعراء الدعوة الإسلامية:

لما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقسم الناس إلى طائفتين في مكة والمدينة، أنصار الكفار وأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم، اشتدت الحرب، ولمعت فيها أسماء شعراء كثيرين من مثل أبي سفيان بن الحارث، وعبد الله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب الفهري، وأبي عزة الجمحي، وهُبيْرة بن أبي وهب المخزومي، وقد أخذوا يسددون سهام أشعارهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من المهاجرين وأنصاره من الأنصار. وعز ذلك عليه لا لأنهم كانوا يهجونه فحسب، بل أيضا لأنهم

كانوا يصدون عن سبيل الله بما يُذاع من شعرهم في القبائل العربي، فقال للأنصار: "ما يمنع القوم الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرُّني به مِقْوَلٌ بين بُصرى وصنعاء"[1]. وانضم إليه كعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فاحتدم الهجاء بينهم وبين شعراء مكة. وحسان أشعر الثلاثة، يقول ابن سلام:"وهو كثير الشعر جيده" ويقال إن أول ما جرى به لسانه حين سلّه على قريش[2]، هذه الأبيات، يتحدى بها أبا سفيان بن الحارث[3]:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ**وَعِنْدَ الله فِي ذَاكَ الجَزَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِـــدُهُ وَعِرْضِي**لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ**فَشُرُّكُمَا لخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

ويقول ابن سلام: "وكعب شاعر مجيد"، قال يوم أحد في كلمة[4]:

فجئْنا إلى موج من البحر وَسْطُهُ**أحابيشُ منهم حاسِرٌ ومُقَنَّعُ

ثلاثةُ آلافٍ ونحــن نصِّيةٌ**ثلاثُ مئينِ إن كثُــرنا وأربـــــعُ

فراحوا سِراعاً مُوجفين كأنهم **جَهَامٌ هَراقتْ ماءَهُ الرِّيحُ مُقْلِعُ

---

1 . الأصفهاني، الأغاني، 137/4.

2 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 2، ط6، دار المعارف، مصر، 38/37.

3 . الأصفهاني، الأغاني، 139/4.

4 . شوقي ضيف، المرجع السابق، ص: 49.

ورُحنا وأُخرانا بِطاءٌ كأننـــا**أُسودٌ على لَحـــــمٍ بِبيشَةَ ظُلَّعُ

ووقف ابن سلام عند ابن رواحة وتحدث عن حُسنِ إسلامه وأنه كان أحد الأمراء الثلاثة الذين قتلوا يوم مُؤْتَة وأثبت له من هجائه لقريش، قوله[1]:

نُجالدُ الناسَ عن عُرضٍ فنأسرُهُم**فينا النبيُّ وفينا تُنْزَلُ السُّوَرُ

وقد علِمْتُمْ بأنَّا ليس غالبنَا**حيٌّ من الناس إن عَزُّوا وإن كثُروا

يا هاشمَ الخيرِ إن الله فضَّلكم**على الَبـــرِيَّةِ فَضْلاً مـــالَه غِيَرُ

فثبَّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ**تثبيت موسى ونَصْراً كالذي نُصِروا

وفي الأغاني أن حسانا وكعبا "كانا يعارضان شعراء قريش بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، فكان في ذلك الزمان أشدّ القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم، قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشدَّ القول عليهم قول ابن رواحة"[2].

---

1 . ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص:188.

2 . الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص:138

المحاضرة العاشرة:

الأغراض الشعرية الجديدة (صدر الإسلام)

. توطئة:

عندما نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم، انبهر الناس به، ودخلت الناس زمرا في الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مثالا لمكارم الأخلاق، فعمل على تهذيب النفوس، وتنقيتها من شوائب الجاهلية وما علق بها، وجاهد أن يقضي على معظم الصفات الذميمة، وأولها العصبية الجاهلية، وجعل الفرد المسلم متعصبا للمسلمين كافة، وأن ما يجمعه بالآخرين هو الإسلام، ووحد بين المهاجرين والأنصار وآخى بينهم، وكان الشعار دوما (المسلم أخ المسلم). وبالتالي انعكس ذلك على الشعر، الذي هو لسان حال العصر وتغيراته وسماته. فقضى الإسلام على بعض الأغراض التي تخدش الحياء، وتضرب الأعراض، تحت غطاء العصبية، وما يؤججها من مغالاة. وظهرت بالمقابل أغراض شعرية جديدة، تتماشى مع ظروف العصر، وتخدم الإسلام والمسلمين، وهذه الأغراض الجديدة، أغراض الشعر الإسلامي نلخصها فيما يلي[1]:

1 . نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، ص: 199 حتى 261.

. الأغراض الشعرية الجديدة في صدر الإسلام:

1- غرض الوعظ الديني:

رصد بعض الباحثين بين أغراض الشعر الإسلامي غرضا مستقلا جعلوه تحت عنوان (الشعر الديني) ليشمل المناجاة بين المرء وخالقه. وفي هذا التصنيف تجاوز لواقع أكيد، هو أن أغراض الشعر في صدر الإسلام، على تنوعها، كان يحكمها ويوجهها الدين، إذ تخلل مختلف مناحي الحياة الخاصة والعامة عند هؤلاء المؤمنين. وانطلاقا من هذا المفهوم يمكن أن يقال إن هذا النوع من الشعر هو مجال الوعظ والإرشاد، سواء أكان هذا لنفس قائله أم نصيحة وإرشادا لغيره من الناس[1]. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات المسلم التي حث عليها القرآن الكريم، في قوله تعالى:"ادعُ إِلىَ سَبِيلِ ربِّك بالحِكْمَة وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" [2].

ويبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجد بأسا في نظم مواعظه السّامية شعرا، وذلك تيسيرا لاستظهارها وحفظها، وتشجيعا على تداولها بين الناس. فقد روت عائشة رضي الله عنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه:"إنما مثَلُ أحدِكُم ومَثَلُ مالِه وعملِه ومَثَلُ أهلِه كمَثَلِ رجلٍ لهُ ثلاثةُ إخوةٍ، فقال لأخيهِ الذي هو مالُه حيَن حضَرهُ الموتُ: قد نزَل بي ما ترى فما عِندكَ؟ قال: مالكَ عندي من غنىً ولا نفعٍ إلاَّ ما دُمتَ حياًّ، فإن فارقتني ذُهِبَ بي إلى غيركَ. فالتَفتَ النبيُّ فقال: أي أخٍ ترونهُ؟ قالُوا: ما نرى

---

1 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، 201.

2 . النحل/ 125.

طائلاً. قال: ثمَّ التفتَ لأخيهِ الذي هو أهلهُ، فذَكرَ نحوهُ، فقال: أقومُ عليك فأُمرِّضُكَ، فإذا مِتَّ غسَّلتُكَ وكفَّنتُكَ، وحملتُكَ ودفنتُكَ، ثم أرجعُ فأخبِرُ عنكَ من سألَ. قال: فأيُّ أخٍ هذا؟ قالوا ما نرى طائلاً. ثم قال لأخيهِ الذي هو عمَلُهُ نحوَهُ، فقال: أتَّبعُكَ إلى قبرِكَ وأقيمُ معكَ وأونِسُ وحشتَكَ وأقعدُ في كفنِكَ فلاَ أُفَارِقُكَ. قال: فأيُ أخٍ هذا؟ قالوا: خيرُ أخٍ).

فقام عبد الله بن كَرز الليثي، فقال: أي رسول الله، أتأذن لي أن أقول على هذا شعرًا؟ فقال: (نعم). قال: فبات ليلته، وغدا فقام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال[1]:

وإنِيِّ ومَالِي والذِي قدَّمتْ يدِي**كداعٍ إليهِ صُحبةً ثمَّ قائلُ

لأصحابِهِ إذ هُمْ ثلاثةُ إخوةٍ**أعينوا على أمري الذي بي نازِلُ

وقال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بني تميم، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده الصلصال الدَّلهْمَس، فقلت: يا رسول الله، عِظْنا عِظة ننتفع بها، فوعظنا موعظة حسنة، فقلت: أحبُّ أن يكون هذا الكلام أبياتا من الشعر، نفتخر بها على من يلينا، وندخرها نعلمها أولادنا، فأمر من يأتيه بحسان، فقال الصَّلصال: يا رسول الله، قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال: (هاتها)، فقال[2]:

تجَنَّب خَلِيطاً مِنْ مَقَالِكَ إِنَّمَا**قَريـــــنُ الفَتَى فِي القَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ

---

1 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن: العسقلاني، الإصابة، 345/2.

2 . نايف معروف، الأدب الإسلامي، عن: العسقلاني، الإصابة، 87/2.

وإن كنتَ مشغُولا بشيءٍ فَلاَ تَكُنْ**بغير الذي يرضى به الله تُشغَلُ

ولن يصحب الإنسانَ من قبلِ موته**ومِنْ بَعْدِهِ إِلاَّ الذِي كَانَ يَعْمَلُ

ألاَ إِنَّمَاَ الإِنْسَـانُ مَنْ قَبلِ مَـوتهِ**يقيـمُ قليلا بينهم ثمَّ يرحـلُ

ولعل هذا الموقف من رل الله (ص) هو الذي شجع الشعراء المسلمين على أن ينظموا مواعظه شعرا.

2. غرض الجهاد والفتوحات:

يتلخص مفهوم الجهاد في الإسلام في حمل السلاح لمقاتلة كل من يقف عقبة في وجه انتشار الدعوة الإسلامية، لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السُّفلى. وهذا الأمر يتطلب بذل النفس والنفيس، فقد حثَّ الله على بذلهما، لما ينتظر المجاهدين من أجر عظيم في الحياة الآخرة1، حيث يقول الله تعالى: "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله الذِينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيَا بِالآخِرَة، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله فيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا"[2].

1 . نايف معروف، الادب الإسلامي، ص: 208.

2 . النساء، 74

ثم يحدد رب العالمين هذا الأجر العظيم الذي أعدّه للمجاهدين المؤمنين، فإذا هو الجنة، حيث يقول عز من قائل:"إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ"[1].

والجهاد هو التجارة الرابحة التي تُنجي المؤمنين المجاهدين من عذاب جهنم، يوم لا ينفع جاه ولا مال، حيث يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا الذِينَ آمنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىَ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ"[2].

وهكذا فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمثل الصادق لأصحابه في أمر الجهاد. فحث عليه بلسانه في كثير من المواقف والمناسبات، حتى أصبح شعار المسلم: النصر أو الشهادة. ولم يقف الأمر عند القول باللسان فقط، بل أكده بسلوكه وفعله، حين حمل السلاح وقاد المجاهدين بنفسه في غزواتهم، فضرب لهم بذلك المثل الأعلى في الشجاعة والإقدام.

وحينما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: "وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يُقَاتِلُهُمُ اليَوْمَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صَابِراً مُحْتَسِبًا، مُقْبِلا غَيرَ مُدْبِرٍ، إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ" فقال عُمير بن الحُمام السُّلمي، وكان يأكل تمرات بيده: بخٍّ بَخٍّ، فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء. ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ، وهو يقول[3]:

---

1. التوبة/ 111

2. الصف/10.

3. الطبري، تاريخ، 448/2.

رَكضًا إلى اللهِ بغيرِ زادٍ**إلاَّ التُقى وعملِ المِعادِ

والصبر في الله على الجهادِ**وكلُّ زادٍ عُرضةُ النَّفادِ

غيرَ التُّقى والبرِّ والرّشادِ

وبتتبعنا لما قيل في موضوع الجهاد، نجد المفاهيم والمشاعر الإسلامية أخذت تحل محل القيم الجاهلية، فقد صار طلب الجنة أمنية يتمناها المحاربون في سبيل الله. فهذا جعفر الطيار رضي الله عنه يقول يوم مؤتة، بعد أن حمل الراية عند مقتل زيد بن حارثة[1]:

يا حَبَّذَا الجَنَّةَ وَاقْتِرَابُهَـا

طيّبةً، وبـارداً شَرابُهـا

والرّومُ رومٌ قدْ دَناَ عذابُها

كَافرةٌ بعيدةٌ أنْسَابُهـا

عليَّ إذْ لاَقيتُها ضِرابُهـا

وإذا كانت فكرة الموت تبقى الهاجس الذي يخيف الإنسان عند اقتراب الحقيقة، فإن دور القائد خطير في مثل هذه المواقف التي تتطلب تجاوز حاجز الخوف. فهذا بطل الفتوحات الإسلامية خالد بن الوليد يعمل على إزالة هذا العائق من بعض النفوس، فهو

1 . ابن رشيق، العمدة، 23/1.

يقود عساكره وينشد أمامهم في أرض المعركة أناشيد رائعة، فإذا هو لا يخاف الموت، لأن في الموت حياة الخلود في جنان النعيم، فيقول[1]:

اليومَ يومٌ فاز فيه من صَدَقْ

لا أَرْهَبُ الموتَ إذا الموتُ طرقْ

لأروِيَنَّ الرُّمحَ من ذوي الحَدقْ

لأهتكن البيضَ هتكاً والورَقْ

عسى أرى غداً مقامَ من صَدَقْ

في جنَّةِ الخُلْدِ، وأَلْقى من سَبَقْ

3- غرض الرثاء والعزاء:

اختلف الرثاء في العصر الإسلامي ـ في بعض جوانبه ـ عما عهدناه عند شعراء الجاهلية من ذرف للدموع وأسىً في القلوب وحداد على الأموات. فالشاعر الإسلامي إنسان ملتزم بعقيدة دينية تحدد له موقعه في هذا الكون الفسيح، وتبين له سبب وجوده في الحياة الدنيا التي لا تعدو أن تكون جسر عبور من عالم الفناء إلى عالم الخلود الأبدي، حيث تُنصب الموازين بالقسطِ، فإما إلى حياة النّعيم وإما عذاب الجحيم. وهكذا، فإن مضامين شعره ستكون مشبعة بالقيم والمعاني الإسلامية. فانتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى يجعل حسان يقلب الرثاء إلى مديح خالص لهذا النبي

---

1 ـ الواقدي محمد بن عمر، فتوح الشام ، د.ط، مصر، هـ1368، 26/1 ـ 27.

الكريم. فهو خير من حملت به امرأة، وهو خير من مشى فوق الثرى، وهو النور الذي يستضاء بعدله وإرشاده، جاء مصدقا ومكملا لرسالة من سبقه من الرسل والأنبياء، حين يقول[1]:

تَا الله مَا حمَلَتْ أُنْثى وَلاَ وَضعتْ** مِثلَ النبيِّ رَسُولِ الرَّحمةِ الهَادِي

ولاَ مَشىَ فوقَ ظَهْرِ الأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ** أَوْفىَ بِذِمَّة جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ

منْ ذاَ الذِي كانَ نُوراً يُسْتضاءُ بهِ** مُباركَ الأمْرِ ذا عَدلٍ وإرشادِ

مُصَدِّقاً لِلنَّبِيِّينَ الأُولىَ سَلَفُـــــوا**وَأَبذلَ النَّاسِ لِلْمَعروفِ لِلْجَادِي

وعند النظر في شعر الرثاء في ديوانه، نجده يسلك المنحى الإسلامي، فهو الطابع العام الذي يغلب عليه، إذ يتحدث عما ينتظر المؤمن في جنان النعيم التي أُعدَّت لمن قُتِل في سبيل الله. كما يتضمن رثاؤه للشهداء سيلا من التهديد والوعيد التي أعدت للمشركين، إذ ينالهم الخزي في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة، فهو يقول في رثاء قتلى أُحُد[2]:

فإنْ تَذْكُروا قتْلَى، وحمزَة فيهمُ

قتيلٌ، ثوَى لله، وهو مطيعُ

---

1 . حسان بن ثابت، الديوان، ص:59.

2 . حسان بن ثابت، الديوان، ص: 151.

فإنَّ جِنانَ الخُلدِ منزلُهُ بها

وأمرُ الذِي يَقضي الأمورَ سريعُ

وعلى الرغم من الصدمة التي أحدثها موت الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في نفوس المسلمين عامة، فتمنوا فداءه بالغالي والنفيس، فإن الإيمان الراسخ في قلوبهم، جعلهم يتقبلون الأمر بصبر وثبات على العقيدة، فالنبيّ إنسان مولود، وكل نفس ذائقة الموت كتابا مقضيا من عند الله. فإن رسالته الخالدة مستمرة إلى يوم القيامة، كما قال سواد بن قارب[1]:

إن النبيّ وفـــاتُه كحيـــاته**الحقُّ حقٌّ، والجهادُ جهادُ

لو قيل تفدون النبيَّ محمدا**بُذِلتْ لَه الأموالُ والأولادُ

هذا، وهذا لا يرُدُّ نبيّنَـــا**لو كان يفديهِ فداهُ سوادُ

لم يقتصر رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم على الشعراء فحسب، فإن بعض النساء الشواعر شاركن في إظهار عواطفهن الصادقة. فالمرأة، بطبيعتها النسوية، أكثر تأثرا في مثل هذه المواقف المحركة لمشاعر الإنسان وأحاسيسه، وبخاصة إذا كان من ذوي القُربى أو من ذوي المحبة السامية. فهذه فاطمة الزهراء رضي الله عنها ترى وفاة أبيها انقطاعا

1 . السهيلي، الروض الأنف، مطبعة الجمالية، 140/1.

لخبر السماء عن أهل الأرض، وتمثل ذلك بافتقاد الغيث عن الأرض، وتتمنى لو سبقته إلى الموت، ذلك حين تقول1:

إناَّ فَقَدناكَ فقدَ الأرضِ وابِلهاَ**وغَابَ متىَ غِبْتَ عَنَّا الوحيُ والكتُبُ

فليتَ قبلكَ كانَ الموتُ صادفَناَ**لمِا نُعيتَ وحـــالتْ دونك الكتُبُ

والأمر نفسه حدث عند وفاة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه غدرا، وذلك حين تطاولت يدٌ مجوسية حاقدة على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، فاغتالته غدرا، فجاء الشعراء يرثونه، فأخذوا يعدِّدون مآثره السامية التي قدمها للإسلام والمسلمين، خالصة لوجه الله تعالى، فقال الشماخ بن ضرار[2]:

جزَى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركتْ**يـــدُ اللهِ في ذاك الأديمِ الممـــزَّقِ

قضيتَ أمورا ثم غادرتَ بعدها**بوائق في أكمـــامها لم تفتَّـــــقِ

وكنت تشوب العدلَ بالبِرِّ والتُّقى**وحُكمٍ صليبِ الدين غيرَ مُرَقَّقِ

أمـــــــينُ النبيِّ في وحيهِ وصفيِّهِ**كســـاهُ المليكُ جُبَّـــــةً لم تُمزَّقِ

من الدّينِ والإسلامِ والعدلِ والتُّقى**وبابُكَ من كلِّ الفواحِشِ مُغْلَقِ

---

1 . الموستارلي، حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، 126/1.

2 . الحامد عبد الله، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، طبعة الرياض، 1402هـ، 1981، ص: 430.

وكذلك الشأن في رثاء الخليفة المغدور عثمان بن عفان، فرثاه الشعراء من مثل أيمن بن خريم، وكذلك حين غُدِرَ بالخليفة الرابع على بن أبي طالب، على يد أحد الخوارج، فرثاه جملة من الشعراء من أمثال أبو الأسود الدؤلي وغيره.

وهكذا نجد أن الرثاء في الشعر الإسلامي هو تعبير عما يعتري الإنسان من أسى لفراق عزيز ومن ألم لفقدان أثير. ثم ينتقل الشاعر في كثير من الأحيان إلى تعداد محاسن الفقيد وشمائله، فإن هذه المآثر تظل في نطاق المفاهيم الإسلامية.

4. غرض تأريخ الأحداث:

يعد الشعر الإسلامي سجلا حافلا بالأحداث التاريخية الخطيرة، إذ رافق الدعوة الإسلامية منذ بواكير عهدها، فكان الشاهد الأمين لما جرى في المحطات الفاصلة والوقائع البارزة في حياة الإسلام والمسلمين. ولما كان شعراء الإسلام الأوائل هم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ما خلفوه لنا يأتي في مرتبة عالية من حيث صدق التوثيق، وبخاصة أن كبار المؤرخين وأصحاب السير قد أثبتوه في كتبهم وسجلاتهم. فقد أرخ كعب بن مالك بيعة العقبة ورصد لنا أسماء النقباء الذين اختارهم قومهم حين قال الرسول الكريم لمن حضر هذه البيعة: (أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم) فقال[1]:

ودونكَ فاعلم أنَّ نقضَ عهودنا

أباهُ عليكَ الرهطُ حين تبايعوا

---

1 . ابن هشام، السيرة، 445/1.

أباهُ البراءُ وابن عمروٍ كلاهما

وأسعدُ يأباه عليك ورافعُ

وسعدٌ أباهُ الساعديُّ ومنذرٌ

لأنفكَ إن حاولتَ ذلك جادِعُ

وما بين ربيعٍ إن تناولتَ عهدهُ

بمُسلِمِهِ لا يَطمعَنْ ثمَّ طامِعُ

والأحداث المؤرخة كثيرة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعده.

5- غرض الفخر والمديح:

الفخر والمديح غرض من أغراض الشعر العربي قبل الإسلام وبعده، وهما يدوران في فلك واحد محوره الثناء على (الأنا)، فردا وجماعة، وفيه دغدغة للنفس البشرية التي تستعذب الإعجاب بها. وقد اختلفت الدوافع التي كانت تحكم هذا النوع من الفخر والمديح ـ حكما ـ بعد الإسلام عما كان قبله.

وهكذا فقد اتخذ الفخر في الإسلام منحى جديدا، يتوافق مع العقيدة الدينية الجديدة، انسجاما مع قوله تعالى:"فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى"[1].

1 . النجم/32.

فكان من موضوعاته الاعتزاز بالسبق إلى الإسلام، والمبادرة إلى الاستجابة إلى دعوته. فعلي بن أبي طالب، يفخر بأنه كان سبَّاقا إلى الإيمان رغم حداثة سنه، فهو لم يبلغ الحُلُم، حيث يقول[1]:

سَبَقْتُكُمْ إلى الإِسلاَمِ طُراًّ صغيراً، ما بلغتُ أوان حِلمي

وافتخر الشعراء بثباتهم على دينهم حين لم ينساقوا وراء المرتدين من القبائل بعقيدتهم. فهذا عمير بن ضابئ اليشكري، وكان من سادات أهل اليمامة، يرفض الانجرار إلى الضلال بعد الهدي. ثم لا يكتفي بذلك، بل يفخر بالانتساب إلى دين محمد، كما يشجع من بقي من قومه على الإسلام أن يظلوا على ذلك إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، فيقول:

إنَّ دينَ الرَّسُولِ ديني وفِي القَو**مِ رِجالٌ على الهُدى أمثالِي

إنْ تكُنْ مَنِيَّتِي علىَ فطـرة الل**هِ حنيفاً فإنَّني لا أُبـــالِي

وقد أكثر شعراء الأنصار من الافتخار بنصرة الإسلام، حين عاداه الآخرون، فهم الذين آووا الرسول ونصروه وسلَّموه زمام أمرهم عن طيب خاطر ونفس طيبة، وتحملوا كل ما نتج عن ذلك من مواجهة للطغاة والظالمين، فيقول حسان معتزا بقومه الذين كانوا سباقين إلى نصرة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه[2]:

---

1 . ابن كثير، البداية والنهاية، 9/8.

2 . حسان بن ثابت، الديوان، ص:229.

نَصرنـــاَ وآوينـــاَ النبيَّ محمداً**على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغمِ

نصرناهُ لماَّ حلَّ وسطَ رحلِنا**بأسيـــافنا من كلِّ بـــــاغٍ وظالمِ

جعلنا بنينـــا دونهُ وبناتنا**وطِبْنـــــا لهُ نفساً بفيءِ المغـــانِمِ

وما نجده من فخر عند الشعراء المسلمين إنما هو في نطاق الاعتزاز بدين الإسلام، وأنه يمثل جماعة المسلمين بعامة، إذ لم يعد الشاعر مُلكا لعشيرته، بل أصبح واحدا من أمة الإسلام.

ومع وقوف الإسلام في وجه المدح الكاذب، إذ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذاَ رأيتُم المدَّاحينَ فَاحثُوا فِي وجُوهِهِمْ التُّرَابَ"[1]. فإن منحىً جديدا اتخذه الشعراء المسلمون، فبدلا من توزيع الكلام بغير حساب على أصحاب النفوس الضعيفة. فقد توجهوا بشعرهم إلى مديح الإسلام المتمثل في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام. وبذلك ارتقى الشاعر المسلم بسموّ الفكرة التي صار يدور حولها ويسعى إلى تمجيدها. وهكذا أصبح (أنا) الإسلام هو المحور البديل عن محاور الجاهلية المختلفة، كما عبر عن ذلك أحد الشعراء المؤمنين، حين يقول[2]:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواه**إذا فخـــروا ببكرٍ أو تميـــمِ

ولدى استعراضنا ما وصل إلينا من شعر هذه الحقبة في فن المديح نجد أن جله جاء في مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن مضامينه هي في امتداح رسالة

---

1 . رواه مسلم والترميذي، وغيرهما.

2 . المبرد، الكامل، 908/3.

الإسلام التي أوحى الله بها على نبيّه الكريم، وكذلك في السلوك الإسلامي الذي تجسد فيهم، فكان محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى وهو القدوة الحسنة، فهذا حسان يتحدث عن حالة العرب الظلامية قبل الرسالة، وكيف أخذ رسول الله بيدهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وذلك بعد أن يؤكد نبوَّة محمد صلى الله عليه وسلم ومنزلته الرفيعة عند الواحد الأحد، فقال[1]:

أغرُّ عليــه للنبـــوة خـــاتمٌ**من الله مشهود يلـوحُ ويُشْهِـــدُ

وضمَّ الإلهُ اسمَ النبيِّ إلى اسمه**إذا قال في الخمسِ المِـؤذنُ أشهدُ

وشقَّ لله من اسمه ليُجِلَّـــهُ**فذو العرشِ محمـــودٌ وهذا محمدُ

نبيٌّ أتـــانا بعدَ يـــأْسٍ وفترةٍ**من الرُّسلِ، والأوثانُ في الأرضِ تُعبدُ

فأمسى سِراجاً مُستنيرا وهادياً**يلـــوحُ كما لاحَ الصقيـــلُ المهنَّدُ

وأنذرنـا نـــــاراً وبشَّرَ جنَّةً**وعلَّمنـــاَ الإسلامَ، فاللّهُ نَحمَـــدُ

وهكذا نلاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو قطب الرحى في موضوع المديح الإسلامي، والاهتمام الرئيسي حول العقيدة الإسلامية ومضامينها بأسلوب يتسم برقَّة اللَّفظ ووضوح المعنى.

1 . حسان بن ثابت، الديون، ص: 47.

6- الهجاء والنقائض:

الهجاء من الأغراض الشعرية التي مارسها شعراء الجاهلية على نطاق واسع، فصبوا جام غضبهم على خصوم قبائلهم، فعددوا مثالبهم وعيروهم بأيامهم، وهم يبتغون التشهير بهم وفضيحتهم أمام القبائل الأخرى.

وجاء الإسلام وهم على تلك الحال، ولجأ المشركون إلى الشعر يهجون به الإسلام والمسلمين، وكان لا بد من ردعهم وإيقافهم عند حدودهم، فسمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لشعراء المسلمين بالرد عليهم لإسكاتهم، وذلك دفاعا مشروعا عن النفس، وعملا بالآية الكريمة: ﴿ فَمَنْ اعتَدَى عَلَيكُمْ فَاعتَدُوا عَلَيهِ بِمثلِ مَا اعْتدَى عَلَيْكُمْ ﴾[1]. وهكذا نجد أن رسول صلى الله عليه وسلم لم ينه عن الهجاء، بل كان يشجعهم ويحثهم على اللجوء إليه في الرد على الشعراء المشركين، فكان يقول لهم: "قُولُوا لهُمْ مثلَ ماَ يَقُولُونَ لَكُمْ"[2].

وكان حسان في طليعة الشعراء المسلمين الذين ردوا على هجاء المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان رده على أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الذي حرض على الإسلام والمسلمين وآذاهم بهجائه، وذلك في همزيته، يقول فيها[3]:

ألاَ أبلِغ أباَ سُفيانَ عنِّي**فأنتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هواءُ

---

1. البقرة : 194.

2. ابن عبد ربه، العقد الفريد، 294/5.

3. حسان بن ثابت، الديوان، ص:7.

بأنَّ سيوُفَنا تركتكَ عبدًا**وعبدُ الدَّار سادتُها الإماءُ

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنهُ**وعند اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

وإلى جانب حسان هنالك كثير من شعراء المسلمين من تصدوا لشعراء الكفار، وهجوهم، منهم كعب بن مالك الذي قال في يوم بدر، متوعدا ومهددا المشركين[1]:

فأمسوا وقودَ النار في مستقرِّها**وكُلُّ كفُورٍ في جهنَّم صـــائرُ

وكان رسول الله قد قال: أَقْبِلوا**فولَّوْا وقالُوا: إِنَّمَاَ أنتَ سَاحرُ

لأمرٍ أرادَ اللهُ أن يهلِكـــــوا به**وليس لأمرِ حمّه اللهُ زاجِـــرُ

1 . ابن هشام، السيرة، 14/3.

المحاضرة الحادية عشر:

شعراء الأحزاب الإسلامية

توطئة:

حين تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان ـ أفضى ذلك إلى قيام وجهات نظر سياسية متنافرة حول مسألة الخلافة، وما لبثت تلك الوجهات أن تحولت إلى أحزاب سياسية قوية، كل منها يحاول تأكيد موقفه، وإثبات أحقيته في الخلافة عن طريق تقديم بعض الحجج العقلية، والتأويلات الدينية[1]. ونجمل مجموع الأحزاب السياسة[2] البارزة فيما يلي:

ـ **الشيعة**: يرون الخلافة في علي ـ علي رضي الله عنه ـ وابنه من بعده، متكئين في ذلك ـ على قرابة الإمام علي – رضي الله عنه – من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صحبته الحميمة له، ثم لعلمه وورعه وتقواه.

ـ **الخوارج**: يذهبون إلى ترك أمر الخلافة شورى بين المسلمين، ويختار له الكفء والأصلح، ويقدمون كثيرا من النصوص الدينية الصريحة التي تنادي بالتسوية بين المسلمين.

---

1 . سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ص:3332، https://bfla.journals.ekb.eg/article_12338.html

2 . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

. الزبيريون: يرون أن الخلافة حق لقريش، على إطلاقها، ويختار لها الكفء والأصلح، وليس أصلح لها من ابن الزبير. لأن مدتهم وسلطانهم لم يدم طويلا، فأنهم لم تتكون لهم فلسفة سياسية خاصة، ولم يظهر لهم حزب سياسي بالمعنى الصحيح.

. الأمويون: فقد كان موقفهم من أمر الخلافة ضعيفا بالنسبة لغيرهم من الأحزاب الأخرى، فهم لم تبلغ قرابتهم للرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ قرابة – علي رضي الله عنه – له، كما أنهم لم يكن لهم من الورع والتحنث الديني ما لعلي علي رضي الله عنه. وأولاده.

. الأحزاب السياسية:

1 . الزبيريون:

لقد ظهرت معارضة حادة في صفوف الأشراف من أبناء كبار الصحابة لأخذ معاوية البيعة لابنه يزيد بولاية العهد واستخلافه له من بعده، وقد قاد الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير هذه المعارضة. وحدث أن دعا بعض أهل الكوفة الحسين ليبايعوه، ومضى إليهم غير أنه قُتِلَ دون غايته. فخلا الجو لابن الزبير الذي اتخذ من قتل الحسين أداة للتشنيع على يزيد وعماله، وثارت المدينة، وأوقع بها يزيد وقعة الحَرَّة المشهورة. فاتسعت الجروح في الحجاز، وبدا للعيان أن الأمويين، وإن كانوا قرشيين، يحكمون بسيوف كَلْبْ وغيرها من قبائل الشام اليمنية، وكأنه لم يعد لقريش ولا للحجاز عامة شيء في الحكم. وحقًّا أن الأمويين قرشيون ولكنهم حولوا الخلافة عن المدينة حاضرتها في الحجاز، إلى دمشق، ولم يعودوا يستندون في حكمهم على قريش، بل أصبحوا يستندون على قبائل الشام اليمنية ويحكمونها في رقاب الناس، بل لقد استباحوا بها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد مضوا يَلون الخلافة كما ولها يزيد، لا بسلطان شرعي، وإنما بسلطان السيف والقوة، إذ أن يزيد لا يأتي أولا بين أبناء كبار الصحابة

فبينهم من يَفْضُلونه بسابقة آبائهم في الإسلام وبسيرتهم الفاضلة. واتجه الجيش الذي نكب المدينة في وقعة الحرَّة إلى مكة حيث يعوذ ابن الزبير، وهبَّ كثير من العرب حتى من الخوارج للذَّود عن البلد الحرام. وضُرِبَ من حوله حصار، غير أن الأنباء جاءت بموت يزيد، فرُفع الحصار، وعاد الجيش أدراجه، وبدا حينئذ كأن ابن الزبير هو القرشي الذي اختير للجماعة. فأبوه من كبار الصحابة المقدَّمين وأمه أسماء أخت السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان قوي الشخصية تقيا وشارك في فتوح إفريقية. وسرعان ما انظمت تحت لوائه قيس في الشام والجزيرة وتبعته العراق ومصر. وكذلك تبعته خرسان بقيادة عبد الله بن خازم السُّلمي القيسي. ولى بعد يزيد ابنه معاوية بعهد منه، ولكنه توفي سريعا، وبدا كأن حكم بني أمية قد انتهى[1]، حتى ليقول ابن عرادة بخرسان[2]:

أبنى أُمَيَّةَ إِنَّ آخِرَ مُلْكِكُمْ ** جَسَدٌ بِحُوَّارِيْنِ ثُمَّ مُقِيمُ

طَرَقَتْ منِيَّتُهُ وعد وِسادِهِ**كُوبٌ وزِقٌّ رَاعِفٌ مَرثوم

ومُرِنَّةٌ تبكي على نَشْوانِهِ**بالصَّنج تقعد تارةً وتقومُ

وظل ابن الزبير يقود الولايات التي تبعته من مكة، ولم يلبث مروان بن الحكم أن ظهر بالشام تسنده، وخلصت له الشام، ومصر، وبذلك تحولت الخلافة من بيت السفيانيين إلى بيت المروانيين، ثم ما لبث أن توفي وخلفه ابنه عبد الملك، وكان سياسيا أريبا. يعرف كيف يستخدم المال في جمع الناس من حوله، وكان في ابن الزبير بخل وحرص شديد جعل كثيرا من العرب ينصرفون عنه... وعلى الرغم من شحِّه الذي أسهم في شح الشعر الذي يمدحه، ومع ذلك فقد التف به جمع من الشعراء، لا في الحجاز وبين قيس في الشام، والجزيرة، وفي العراق... واشتعلت العصبيات والوقائع الحربية بين القبائل القيسية

---

1 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 291/2، 292.

2 . الطبري، 421/4.

من جهة، والقبائل اليمنية وتغلب من جهة ثانية، وأن الشعراء في الطرفين جميعا سلُّوا ألسنتهم مدافعين عن قبائلهم ومهاجميهم، أو بعبارة أخرى مفاخرين، ومتهاجين هجاء مريرا.[1]

. شعر الزبيريين، وأبرز شعرائهم:

لقد قل شعر الزبيريين للأسباب المذكورة سابقا، وأهمها أنه لم تكن هنالك أسس نظرية يرفعها، أو يدعو إليها أنصاره في حياته أو بعد مماته. بحيث تشكل نظرية سياسية[2].

وأشهر شعراء الزبيريين، الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات. وما كان من شعر لغيره في آل الزبير، فهو قليل لا يمثل لونا من الانتماء الحقيقي لهم[3]، لا سيما وقد قتِل معظم أهله بموقعة الحرّضة، فأصبح شعره يقطر بالثورة على يزيد وبني أمية... ومن ثم كان اعتناقه للعقيدة الزبيرية اعتناقا مخلصا، وهو اعتناق يشوبه الحقد على بني أمية والرغبة الشديدة في أن ينقضَّ حكمهم في الشام انقضاضا، ولعل خير ما يصور ذلك قصيدته الهمزية التي يفتتحها بقوله:

أقْفرَت بَعدَ عبدِ شَمْسٍ كَداءُ**فكُديٌّ فالرُّكنُ فالبَطْحاءُ[4]

ولا يلبث أن يدعو دعوة عنيفة لحرب عبد الملك وبني أمية الذين استباحوا البيت الحرام، وقتلوا الحسين في كربلاء، يقول:

كيفَ نومي على الفِراَشِ ولَماّ**تَشْمَلِ الشَّمَ غارَةٌ شَعْواَءُ

---

1 . شوقي ضيف المرجع السابق، ص: 291.

2 . سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، ص:3396.

3 . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 . شوقي ضيف، المرجع السابق، ص:296.

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنيهِ وتُبْدؤي**عن بُرَاهاَ العقِيلَةُ العَذراَءُ

أنا عنكُـــــــمْ بَني أُمَيَّةَ مُزْوَ**رٌ وأنتم في نفْسِيَ الأعداءُ

إنَّ قَتْلىَ بالطَّفِّ قَدْ أَوجَعَتنِي**كانَ مِنْكُمْ لئن قُتِلْتُمْ شِفاَءُ[1]

ويقول مادحاً عبد الله بن الزبير[2]:

وابن أسماءَ خيرُ من مسحَ الركُ**(م)نَ فعالاً، وخيرُهُمْ بُنياناً

وإذاَ قيلَ من هَجاَنُ قريش**كُنتَ أنتَ الفتى وأنتَ الهَجاَناَ

2 . الخوارج:

تعد فرقة الخوارج من أكثر الأحزاب السياسية ديمقراطية، وأشدهم اعتزازا بالرأي، وفناء في المبدأ، ولم يتخلوا عن ذلك أو يلينوا فيه منذ ابتداء رأيهم يوم صفين، وحتى نهايتهم، كل ذلك على الرغم من تعدد فرقهم، واختلاف آرائهم فيما بينهم، وهذا ما يسجله شعرهم، الذي يفيض حماسة، وصدقا في التعبير عن تلك الروح المتميزة[3].

"وكان إخلاصهم لدينهم عظيما، غير أنهم ضلوا المحجة، إذ مضوا يشرعون سيوفهم ويسلُّنها على المسلمين، كأن الإسلام لا يحيا إلا في معسكراتهم، وبذلك مزقوا الجماعة الإسلامية. إذ ظلوا ثائرين.

---

1 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 2، ص:297.

2 . سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، ص:3397.

3 . المرجع نفسه، ص: 3387.

. شعر الخوارج، وأبرز شعرائهم:

ظلت عقيدة الخوارج كأنها مبدأ ثوري يدعوهم دائما إلى الحرب والقتال. وكانوا يستصغرون الحياة ويهونون شأنها من ذلك أن رجلا قدَّمه الحجاج إلى القتل، فأنشده:

ما رغْبَةُ النَّفسِ في الحلاةِ وإنْ**عاشَتْ قليلاً فالموتُ لاحِقُها

وأيْقَنَتْ أَنَّـــهاَ تعودُ كمـــاَ**كـــانَ بَراهاَ بالأمسِ خالِقَهاَ

فهم يطلبون الموتَ ويستعذبونهُ ابتغاء ثواب الله والفوز برضوانه وجناته، وإنهم يستعجلونه تعجلاً، يقول قطري بن الفُجاءة:

إلى كَم تُعارَيني السيوفُ، ولاَ أرَى**معارَتهاَ تدعو إليَّ حِمامِيا

أُقارِعُ عن دارِ الخُلد ولا أرى**بقاءً على حالٍ لمن ليسَ باقِياَ "[1]

وعرف الخوارج بكثرة نظمهم لشعر التقوى والزهد. " ومما ورد في وصف الخوارج، وتصوير تقواهم ما جاء عند "الطُّرمَّاح بن حكيم" في قوله[2]:

للهِ درُّ الشـــــراة إنَهُـــم**إذا الكرىَ ماَلَ بالطلاَ أرِقُوا

يرجعون الحنِـــــينَ آونَـــةً**وإنْ عَلاَ ساعَةً بهم شَهِقوا

خوفاً تبيتُ القُلُوبُ واجِفةً**تَكاَدُ عنهاَ الصُّدُور تنْفَلِقُ

قوم شِحاحُ علَى اعتقَادِهِم**بالفوزِ مماَّ يُخاَفُ قَدْ وَثِقُوا

---

1 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 2، ص:303/302.

2 . ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق عزة حسن، دمشق، 1956م، :578

ويسير على الدرب نفسه شاعرهم "عمرو بن الحصين" حين يحاول تقديم باقة من صفاتهم في هذا النص، إذ يقول[1]:

متأهِّـــــــلُون لكــلِّ صالِحَةٍ**ناهونَ من لاَقُوا عنِ النُّكرِ

صُمُتٌ إذاَ احتَضَروا مجالِسَهُم**وُزُنٌ لقولِ خَطِيـــبِهم وُقُر

لاَ لَيْلُهُـــــــم ليلٌ فيُلبسُهم**فيهِ غـــواشى النَّومِ بالسُّكرِ

3 . الشيعة:

هم الدعاة بعدم أحقية الخلافة لغير بني هاشم، ومن نسل علي بن أبي طالب، بطريق التسلسل الوراثي، بحيث لا تخرج منهم إلا بوصية[2].

وقد مضى كثير من أهل الشيعة بعد وفاة على كرم الله وجهه، يؤمنون بان أبناءه وأحفاده أهل الخلافة الحقيقيين وأصحابها الشرعيون، وأن الأمويين اغتصبوها منهم، وينبغي أن تُردَّ عليهم.[3]

والشيعة من أقدم الأحزاب السياسية نشأة في الإسلام، وأن الصحابة كانوا يصدرون في آرائهم عن اقتناع شخصي بوجهة نظرهم، ومن ثم كانوا يدافعون عنها بحماة واضحة، ويدفعهم إلى التمسك بها: إيمان لا يتزعزع، واعتقاد لا ينال منه قهر أو إحباط[4].

---

1 . ديوان شعر الخوارج، تحقيق إحسان عباس، دار الشروق، 1982، ص: 247، 248.

2 . حياة محمد جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، حياة محمد جبريل

3 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 2، ص:315.

4 . سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، ص: 3379.

. شعر الشيعة وأبرز شعرائهم:

وكان من بينهم عدد من الشعراء، الذين جعلوا من شعرهم صوتا قويا، يعلن عن الاحتجاج لفكر الشيعة وآرائهم، والوقوف في وجه خصومهم، وتصوير حبهم لآل البيت، وتسجيل مواقفهم مع معارضيهم، ورثاء شهدائهم الذين وقعوا صرعى في حومات الوغى، مما يشهد بكثرة شعرهم، وتعدد مضامينه، والتي منها: التغني بصفات آل البيت ولوم خاذليهم. وقد وضع الشيعة عدة شروط ينبغي توافرها في الإمام؛ وهي: أنه هاشمي، عالم، زاهد، تقي، شجاع، كريم، وجواد، وقد حرص شعراؤهم على ترديد هده الصفات، ونسبتها إلى أئمتهم[1]. ومن ذلك ما جاء على لسان الكميت الأسدي[2]:

الحُماةُ الكُمـاةُ في الحَرْبِ إنْ**لفَّ ضِراَماً وَقُودُهاَ بِضِراَمِ

والغَيُوثُ الذين إن أمْحَلَ النَّاسُ**فَمأوىَ حَواَضِنُ الأَيْتـاَمِ

غـــــاَلِبينَ هاَشِميينَ في العِلْمِ**رُبُّوا من عطِيَّةِ العَـــــلاَّمِ

وهُمُ الآخِذون من ثِقَةِ الأَمـرِ**بِتَقْواَهُمْ عَرى لا انفصاَمِ

وإذا أخذنا نقرأ أشعارهم وأشعار غيرهم من شعراء الشيعة وجدناهم محزونين على أئمتهم الذين سفك الأمويون دماءهم، لا يَرْعَوْنَ فيهم إلاًّ ولاَ ذِمَّةً، وقد تحولوا يبكونهم ويندبونهم بدموع لا تَرْقَأُ ولا تَجِفُّ. وربما كان هذا الطابع أهم ما يميِّز الشعر الشِّيعي في

---

1 . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 . الأعلام، ج233/5.

هذا العصر. فهو دموع وبكاء وزفرات على الحسين أولا، ثم على زيد بن علي وابنه يحي، زفرات ودموع سخينة[1]. من مثل قول سليمان بن قَتَّة يُرثي الحُسَيْن[2]:

مَرَرْتُ علىَ أَبْيـــــــاَتِ آلِ مُحَمَّدٍ**فلـــمْ أَرَهاَ كَعَهْدِهاَ يومَ حَلَّتِ

وكـــــاَنوا رَجاَءً ثُمَّ صـــــاروا رَزِيَّةً**وَقَدْ عَظُمَتْ تِلْكَ الرَّزَاياَ وجَلَّتِ

أَلَمْ تَر أنَّ الشَّمْسَ أَضْحَتْ مَرِيضَةً**لِفَقْـــدِ حُسَيْنٍ والبِلاَدُ اقْشَعَرَّتْ

وقَدْ أَعْوَلَتْ تَبْكي السَّماءُ لِفَقدِهِ**وَأَنْجُمُهاَ نـــــاَحَتْ عـليهِ وصَلَّتِ

3. الأمويون:

إن أول صورة تصادفنا للشعر السياسي المناصر لبني أمية، ما أخذ ينظمه الأمويون أنفسهم من مثل الوليد بن عقبة عقِبَ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، إذ مضوا يهاجمون الثوار، الذين قتلوه، جاعلين أنفسهم أصحاب الحق في الثأر ممن قتله، فهم أهله الأقربون، ومن ثمَّ فهم أولياء دمه. وكان عليٌّ قد بويعَ بالخلافة وانشق عليه طلحة والزبير والسيدة عائشة، كما انشق زعيم بني أمية معاوية أمير الشام يسنده جيش يمني موال له تمام الولاء وبذلك انقسمت الجماعة الإسلامية شيعاً... وتطورت الظروف وقُتِلَ علي كرم الله وجهه بعد التحكيم، وبايع الناس معاوية، ودخلت العراق في طاعته وطاعة من خلفوه من الأمويين[3].

---

1 . شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي2، ص:315.

2 . الطبري، مراثي الحسين، ج121/4. وما بعدها.

3 . شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي2، ص: 337/336.

. شعر الأمويين، وأبرز شعرائهم:

ومنذ ذلك الحين تعددت مناحي القول في الشعر المناصر لبني أمية، والمحتج لخلافتهم، حتى غدا صدى لأفكارهم، وسجلا لتاريخهم، وصورة لملامح سياساتهم في مختلف الجوانب، وتعددت مضامينه واتجاهاته.

ومنه شعر الاحتجاج للخلافة والخلفاء، وهذا شيء طبيعي أن يجتمع شعراء بني أمية على تأييد الأمويين، ومناصرتهم في جل آرائهم، سواء ما يتصل منها بالشأن السياسي، أو غيره[1].

وها هو الشاعر، أبو العباس الأعمى يمدح الأمويين. وكان من خاصة شعرائهم، بأنهم سموا عن النظير فلا شبيه لهم في رجاحة العقل، وحسن السياسة، ووفرة الخير... ولقد كان هذا سببا في أن اختصهم الله بأمر المسلمين. على الرغم من حقد المعارضين، الذين لم يكن لصوتهم أن يسمع لولا حلم الأمويين عليهم[2]، فيقول[3]:

أَبَنِي أُمَيَّةَ لا أَرى لَـكُمْ**شَبَهاً إِذاَ مـاَ التَفَّتِ الشِّيَعُ

سِعَةُ وأَحْلاَمٌ إِذاَ نَزَعَتْ**أهتلُ الحَلُوم فضَّهـــا النَّزعُ

اللهُ أَعطاَكُمْ، وإن رَغِمْتِ**مِن ذاَكَ أنفُ مَعاشرٍ رفعوا

أبنِي أُمَيَّة غيرَ أَنَّكـــمُ**والنَّاسُ فيماَ أُطْمِعُوا طَمَعُوا

أَطْمَعْتُم فيكُمْ عَدُوَّكُمْ**فماَ بؤهِمْ في ذاكُمْ الطمعُ

---

1 . سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، ص:3365.

2 . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 . الأصفهاني، الأغاني، ج60/15.

ويختصهم الشاعر الأخطل بالسيادة، لأنهم أهل لذلك، وليس كذلك من يضع نفسه موضع المقارنة بهم، فيقول[1]:

تَمُتْ جُدودُهُـــمْ واللهُ فَضَّلَهُم**وجَدُّ قومٍ سِواَهُمُ خـــــامِلٌ نُكُدُ

ويومَ صِفِّينَ والأبصارُ خاَشِعَةٌ**أمدَّهُم. إذْ دَعَـــوا من رَبِّهِمْ مَدَدُ

وأنتُـــمْ أَهلُ بيْتٍ لاَ يُوازِنُهُمْ** بيتٌ إِذاَ عُدَّتِ الأحساَبُ والعَدَدُ

ويقول أعشى همذان مباركا ظفر الحجاج بأهل الفتنة من شيعة العراق، ذاكرا من الله أعان الأمويين، ونصرهم عليهم:

أبىَ اللهُ إلاَّ أنْ يُتْمِمَ نـــــــورَهُ**ويُطْفِئَ نورَ الفـــــاَسِقينَ فيخمُداَ

ويُظْهِرُ أَهْلَ الحَقِّ في كلِّ موطِنٍ**ويَعْدِلَ وقعُ السَّيْفِ من كاَنَ أصْيَداَ

وينْزِلُ ذُلٌّ بالعِراقِ وأهلِـــــــهِ**لما نقضُوا العهدَ الوثيـــــــقَ المؤكداَ

كما عُرِفَ شعرهم بالإشادة بالقيادِ وعلى رأسهم، الحجاج بن يوسف الثقفي، والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، وها هو ذا الشاعر جرير يشيد بدوره في تتبع المناوئين، والقضاء على اللصوص وقطاع الطرق، حتى شاع الأمن والعدل بين الناس، حيث يقول[2]:

منْ سَدَّ مَطلَعَ النِّفاقِ عليْكُم**أم منْ يَصُولُ كصَوْلَةِ الحجاَّجِ

أمْ منْ يَغاَرُ على النِّساَءِ حفيظَةً**إذْ لا يَثِقـــنَ بِغَيرةِ الأزواَجِ

---

1 . ديوان الأخطل، تحقيق فخر الدين قباوة، ط2، دار الفاق، بيروت، 1979م، ص:172.
2 . الأعلام، ج3، 119.

إنَّ ابنَ يُوسُفَ فاعلمُوا وتَيقَّنوا**ماضي العزيمةِ واضِحُ المِنْهاَجِ

منعَ الرَّشاد وأراكم سُبُلَ الهُدى**واللِّصُّ نكَّـلهُ عن الإِدْلاَجِ

المحاضرة الثانية عشر:

النقائض، موضوعاتها وخصائصها:

1 . النقائض لغة:

النقض لغة: هدم ما أبرمت من عقد أو بناء. ونقض البناء: هدمه. وناقضه في الشيء: خالفه. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه والنقيضة في الشعر: ما يُنقضُ به. وكذلك المناقضة في الشعر أن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول[1].

2 . النقائض اصطلاحا:

والمعنى الاصطلاحي للنقيضة هو "أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر، والقافية، والروي، الذي اختاره الأول، ومعنى هذا أنه لا بد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاء، أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض[2].

3 . شروط النقيضة:

حتى تكون القصيدة التي يرد بها الخصم نقيضة للأولى، يجب أن تتقيد بشروط كثيرة، منها ما ذكرته سابقا و"لا بد من وحدة البحر فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع

---

1 . ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت) مادة (نقض)، ج7، ص:242، 243.

2 . أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ملتزمة الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية، ط2 ، القاهرة، 1954، ص:3.

بين النقيضتين، ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول، ولا بد من وحدة الروي فلذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءا من النظام الموسيقي العام للمناقضة. بقيت حركة الروي، ولا بد من وحدتها أيضا إتماما لذلك التنسيق الوزني، وإن اختلفت في بعض النقائض[1]. كما في اللاميتين: الأولى للفرزدق ومطلعها:

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنا**بيْتاً دعائِمُهُ أعَزُّ وأَطْوَلُ[2]

والثانية لجرير ومطلعها:

لِمَنِ الدِّيارُ كَأنَّهَا لَمْ تُحْلَلِ**بينَ الكِناَسِ وبينَ طَلْح الأعْزَلِ[3]

الأولى ضمة والثانية كسرة: وهاتان أول ما حمى بين الشاعرين من المناقضة. أما المعاني فالأصل فيها المقابلة والاختلاف لأن الشاعر الثاني همه أن يفسد على الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه، وإن كانت فخرا كذَّبه فيها، أو فسرها لصالحه هو، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه وهكذا[4].

وينبغي أن نتنبه إلى أن النقائض ليس هجاء خالصا، وإنما هي خليط من فنون الشعر كلها، فيها فخر، ومدح وهجاء، ونسيب، ووصف، ورثاء، إلا أن المادة الأساسية والغالبة على النقائض هي الهجاء والفخر، وهما الفنّان الأساسيان اللذان يتبارى فيهما الشعراء، ويظهرون تفوقهم، ويتحدى بعضهم بعضا بالشعر[5]. قال الفرزدق لجرير:

---

1 . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 . النقائض، ص:182.

3 . المرجع السابق، ص: 211.

4 . أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص:4.

5 . محمد الأمين، ظاهرة النقائض في الشعر الأموي . مدخل عام . أنفو برانت، ط1، 1999، ص:18

فدُونَكَ هَذيِ فانتَقِضْهاَ فإنَّهاَ**شَديدٌ قُوى أمْراسِهاَ ومُواَصِلُهْ [1]

4. كيفية التناقض:

إن المعنى هو أهم أعمدة النقيضة التي تقوم عليها، "فهو مناط النقائض ومحورها الذي عليه تدور، يتخذ عناصره من الأحساب، والأنساب، والأيام، والمآثر، والمثالب؛ يقول الشاعر الأول قصيدة يهجو فيها آخر أو يفخر عليه، ويختار لها بحر البسيط مثلا، وقافية الراء المضمومة، فيضطر الثاني أن يرد عليه فخره وهجاءه، وأن يلتزم البسيط وقافية الراء المضمومة، ويكون موقفه من زميله موقف الخصم العنيد الذي يهجوه صريحا، ويسبُّهُ، ويُكذبه فيما يدّعيه وينشر مخازيه، ومخازي قزمه، وربما نال من شرفه تناول حُرُماتِهِ، وقد تكرر هذه المناقضة بأي بحر وقافية، وقد يبدأ الثاني فيرد عليه الأول"[2].

5. مثال عن مناقضة شاعرين:

هذا الأخطل يقول في قصيدته التي يمدح بها عبد الملك بن مروان هاجياً بني كليب بن يربوع رهط جرير، ومفضلا عليهم بني دارم عشيرة الفرزدق خصم جرير الألد:

أماَّ كُلَيْبُ بنُ يُربوع فليس لهم**عِنْدَ التفاَرُطِ إيراَدٌ ولا صَـــدَرُ

مُخَلَّفُونَ ويقضى الناسُ أمرهُم**وهمْ يَغيبٍ وفي عمياءَ ما نظروا

مُلَطَّمون بأعقارِ الحِياضِ فما**ينفكّ من دارمـــــيّ فيهمُ أَثَر [3]

---

1 . أبي عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: بيقان، مطبعة بريل، لندن، 1905، ص:629.

2 . أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص: 04.

3 . ديوان الأخطل، ص:109.

فيردُّ جرير بقوله من قصيدة:

أرجو لتغلِبَ إذا غبّضت أمورهُم**ألا يُبـارَك في الأمرِ الذي ائتمروا

خابت بنو تغلِب إذ ضلَّ فارِطُهم**حوضَ المكارِمِ، إن المجدَ مُبْتَذِرُ

الظاعنون على العمياءِ إن ظعنوا**والسَّائلُون بظهرِ الغَيْبِ ما الخبرُ[1]

فالموضوع واحد وهو الهجاء، والبحر واحد هو البسيط، والقافية راءٌ مضمومةٌ في النقيضتين.

وأما المعاني فمن باب واحد هو الضعَة والهوان، إلا أن كُلاًّ من الشاعرين ألصقها برهط الآخر. يقول الأخطل. في البيت الأول: إن كليبَ ابنَ يربوع لا مفاخرَ لهم يقفون بها بين الناس؛ فيرد عليه جرير في بيته الثاني، بأن تغلب لا تعرف المكارم التي يستبق إليها الناس. ويقول الأخطل في البيت الثاني عن قوم جرير إنهم لا يدبرون شؤون أنفسه، إذا كانت مسندة إلى الناس يقضون فيها دون أن يكون لأصحابهم علم، فيقول جرير في بيته الثالث:

إن بني تغلب يسيرون على غير هدى، ولا يعرفون من أمورهم شيئا حتى يسألوا عنها الناس الذين يدبرونها في غيابهم لهوان شأنهم، وفي بيت الأخطل الثالث ترى قوم جرير مُلَطَّمين عند مؤخر الحياض يضربهم آل دارم امتهانا لهم وإذلالا، وفي بيت جرير الأول ينتظر لتغلب، وقد فسدت أمورهم، ألا ينجحوا قي شيء. وطريقة المناقضة هنا أن جريرا رد على الأخطل معانيه، وانفرد الأخطل بتصوير مذلة كليب، كما أن جريرا لم

---

1. ديوان جرير، طبعة الصاوي، ص:295.

يأمل من بني تغلب صلاحاً ومن هذا المثال الجزئي تعلم ترتيب الأبيات في النقيضة لا يلزم أن يكون على وفق ترتيب الأولى[1].

1 . أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص: 06/05.

المحاضرة الثالثة عشر:

الشعر الغزلي في العصر الأموي:

1 . تعريف الغزل لغة:

إذا قصد الدارسون الشعر الذي يذكر النساء وميل الرجال إليهن، وذكروا جمالهن ومفاتنهن وخصالهن ووصالهن، سموهُ الغزل. وبالتالي جاء التعريف اللغوي للغزل هذا على النحو التالي:

جاء في لسان العرب لابن منظور: شبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب، ونسب بالنساء شبب لهن في الشعر، وتغزل، والغزل حديث الفتيان والفتيات.

. ابن سيده: الغزل اللهو مع النساء... ومغازلتهن، محادثتهن ومراودتهن، وقد غازلها ... تغزّل أي تكلف الغزل، وقد غزل غزلا، وقد تغزل بها وغازلها وغازلته مغازلة. ورجل غزل ... والتغزل هو التعلق بهن[1].

والغزل هو " اللهو مع النساء. من فنون الشعر، يتغنى فيه الشاعر بامرأة ويحمله مشاعره نحوها... الغزل: المتغزل بالنساء، أو الشغوف بمحادثتهن، إنه شاب غزل يحسن محادثة الفتيات والتحبب إليهن"[2].

---

1 . ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط3، بيروت لبنان، 2004، مادة (غَزَلَ).

2 . أديب اللجمي، والبشير بن سلامة، وشحاذة الخوري، عبد اللطيف عبيد، المحيط معجم اللغة العربية، مراجعة أديب اللجمي، ونبيلة الحزار في التقديم، (د.ط)، (د.ت) ص:910.

2 . تعريف الغزل اصطلاحا:

إن الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعا، ذلك أنه مربط بالطبيعة الإنسانية، وبتجاربه الذاتية الخاصة. حين يمتلأ قلب الشاعر حُباً لا يجد بُدا من التعبير عنه في شعره، ويذهب في ذلك مذاهب شتى، حتى يتعاطف معه الناس، ويحبوا ما أحبه، ويتخيلوا جمال المحبوبة وتفردها. ولأن الحب عاطفة مشتركة بين كافة، يجدوا فيها تعبيرا عن خلجات أنفسهم، فيتلذذون بسماع ذلك. وبالتالي اشتهر غرض الغزل منذ القديم، ولا تكاد تخلو منه قصيدة، حتى ولو ابتدأت به كمطلع. وها هو الشاعر كعب بن زهير، وهو في موقف لا يحسد عليه، إما عفو الرسول صلى الله عليه وسلم وإما أن يُهدَر دمُهُ. نجده يُنشد في حضرته قصيدته التي اشتهرت بقصيدة البُرْدَة التي اعتذر فيها للنبي الكريم عما بدر منه في القصيدة التي عرَّضَ فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها مفتاحها الذي كان غزلا:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ**مُتَيَّمٌ إِثْرَهاَ لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

حيث يصف الشاعر حالته بعد فراق محبوبته، رغم أن الظرف عصيب ولا يستدعي ذلك ظاهريا، ولأن الشعراء تعودوا مثل هذه المطالع، كان لا بد له من البدء بالغزل.

عموما لم يحرم الإسلام الشعر، لكن الشعراء انبهروا بالقرآن وتشاغلوا به عن الشعر، أما الذين واصلوا قرض الشعر فكانوا في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي خدمة الدعوة الإسلامية، والمسلمين عامة.

. الغزل في العصر الأموي:

تطور الغزل في العصر الأموي، وكان للبيئة وظروفها التأثير الكبير على ازدهاره، وظهرت فيه أنواع، حيث "ظهر في هذا العصر ثلاثة أنواع من الغزل: الغزل العذري، الذي يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة يتغزل بها بأسلوب عفيف يتلاءم مع الفكر الإسلامي، والغزل العُمري أي الفاحش مع تعدد الحبيبات، والغزل التقليدي الذي كان يلجأ إليه الشعراء استجابة منهم لتقاليد القصيدة العربية التي اعتادوا على البدء بها بالغزل"[1].

1 . الغزل العذري:

. بنو عذرة والحب:

بنو عذرة إحدى قبائل قضاعة الكثيرة التي كانت تنتشر في شمالي الحجاز وتمتد عشائرها وبطونها من المدينة إلى الشام. وكانوا يسكنون وادي القُرى، .. وفي هذا الوادي الممرع الخصب كانوا بنو عذرة يتنقلون بخيامهم.. ولم تكن حياة بني عذرة قاسية، ولا كان فيها من الجذب المهلك. إنما كان فيها خصب ونماء هيأ لشيء من الفراغ كما هيأ لشيء من الاستقرار وأن تجري الحياة هادئة فليس فيها منازعات القبائل على المراعي... وكان لذلك أثره فيما خلفت بنو عذرة من شعر. فإننا لا نجد عندها شعر الحماسة والفخر والزهو الذي كان منتشرا بين القبائل ... وإنما نجد عندها نمطا آخر من شعر

1 . سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، موسوعة المبدعون، دار الراتب الجامعية، (دط)، (دت)، بيروت ، لبنان، ص: 20/19.

غنائي قوامه التعبير عن آلام النفس إزاء الحب وكأنهم لما فرغوا لأنفسهم أو هيأت لهم الحياة أن يفرغوا لأنفسهم أخذوا يغنونها هذا الضرب من الشعر الوجداني[1].

الغزل العذري، يخاطب المشاعر والطيف ويكشف الوله والهيام، ولا يتطرق إلى ذكر مفاتن المحبوبة؛ حيث "يعبر عن العواطف المتعففة والملتهبة في وقت واحد. فالشاعر الذي لم يقترن بحبيبته وجد بالشعر تعويضا يطفئ به لهيب حبه ويترفَّع فيه عن غزارته. وتمتاز عاطفة الشعراء العذريين بأنها دائمة لا تخمد، ولا يصيبها الملل ولا يقف بوجهها أي ظرف كان، فانطلقوا يغنون عواطفهم ويصفون آلامهم وآمالهم. يمتاز الحب العذري باقتصار الشاعر على محبوبة واحدة يقترن اسمه باسمها فقيل: جميل بثينة، وكثير عزة، ومجنون ليلى، وقيس لبنى... هؤلاء شعراء يحبون المرأة لذاتها، وليس لجمالها ولا تزيدهم الأيام إلا تعلقا بهذا الحب الذي يعيش دائما في ظمأ حبهم عفيف ياسر عقلهم، حبهم يائس غالبا"[2]

. أمثلة من شعر الغزل العذري:

يقول جميل بن معمر في محبوبته بثينة:

هيَ البَدرُ حُسْنـاً والنِّســاَءُ كَواكِبُ**وشَتَّانَ ماَ بيْنَ الكَــواكِبِ والبَدْرِ

لقَدْ فضِّلَتْ حُسْناً على النَّاسِ مثلماَ**على ألفِ شَهْرٍ فُضِّلَتْ ليلَة القدرِ

أَيَبْكي حمَامُ الأيْكِ مِنْ فَقْدِ إِلْفِــــهِ**وأصْبِرُ؟ مــالي عنْ بُثَيْنَة من صَبْرِ

---

1 . شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، الدار المصرية اللبنانية، دار نوبار للطباعة ، ط1، القاهرة، 1999م، ص: 19.

2 . سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، ، ص:20.

يَقُولُونَ مَسْحُـورٌ يُجَنُّ بِسِحْرِهـــــا**وأُقْسِمُ مـا بِي من جُنُونٍ ولاَ سِحْرِ[1]

فمحبوبته ليست في جمالها امرأة، ولا في حسنها حسنٌ. فهو لا يطيق صبرا على فراقها، إلى درجة أن الناس تقول عنه أنه مجنون ومسحور.

ويقول أيضا:

يهْواَكِ ماَ عِشْتُ الفُـؤاَدَ فإِنْ أَمُتْ**يَتْبَعُ صَـــدايَ صَـــداَكِ بيْنَ الأقبُرِ

مـــاَ أنتِ وَالوَعْدُ الذي تعِـدِينَني** إلاَّ كَبَـــرْقِ سَحـــــاَبَةٍ لَمْ تُمْطِرِ[2]

يؤكد جميل أنه يحيا بحب بثينة، وأنه إن مات يبقى وفيا لحبها، بمعنى أن حبها أزلي لا ينقطع أبدا. وهذا رغم تمنعها، وضربها لوعود كاذبة لحبيبها.

والملاحظ أن غزل جميل لا يتجاوز ذكر الحبيب بأجمل الأوصاف من سحر وجمال، وأنه متيم بحبها، دون خجل، ويشكو من تماطلها في الوفاء بعودها.

2. الغزل الماجن:

هو الغزل العمري أو الحضري: نسبةٌ إلى عمرو بن أبي ربيعة ولأن شعراءه عاشوا في الحضر حياة ترف. نشأ في الحجاز ونال شعراءه نصيبهم من ترف الحياة، فجاءت أوصافهم مادية حسية غير وجدانية. إنه غزل واقعي يعكس نفسية المرأة وحياتها المترفة. الشعراء الحضريون تغيب عندهم صفة الحب، فهم محبوبون وأكثر منهم محبين. الشاعر

---

1 . عباس محمود العقاد، جميل بثينة، دار المعارف، ط6، القاهرة، (د.ت)، ص:132.

2 . المرجع نفسه، ص:133.

لا يقتصر على محبوبة واحدة، وتتعدد في شعره أسماء النساء ما يدل على عدم صدق العاطفة وعلى الميل إلى العبث واللهو[1].

. شعر الغزل العمري أو الحضري:

قُلْتُ فَـإنِّ هـــائِمٌ**صَبٌّ بِكُمْ مُكَلَّفُ

قَالَتْ بَلْ أَنْتَ مازِحٌ**ذُو مِـلَّةٍ مُسْتَطْرِفُ

لَسْنـــاَ وإنْ حَدَّثْتَنا**يَغُرُّناَّ مـــــاَ تَحْلِفُ

ويقول كذلك:

بيْنَمـــــــاَ يَنْعَتْنَنِي أَبْصَـــرْنَنِي**دونَ قَيْدِ الميْـــلِ يَعْدُو بِي الأَغَرْ

قالتِ الكُبْرى:"أَتَعْرِفْنَ الفَتىَ؟"**قَلَتِ الوُسْطَى: "نَعَمْ هَذاَ عُمَرْ"

قَالتِ الصُّغْرَى، وقَدْ تَيَّمتُهـــاَ**"قَدْ عَرَفْنـــاَهُ، وهَلْ يَخْفَى القَمَرْ" [2]

فنلاحظ اعتداد الشاعر بنفسه، وكيف أنه لا يتغزل بمحبوبة واحدة، بل يعشق الكثيرات، ويتفاخر بذلك، كذلك يُخلف وعده لهن، لعدم وفائه.

---

1 . سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، ص20.

2 . المرجع نفسه، ص:31.

المحاضرة الرابعة عشر:

جدل القيم (البداوة والحضارة) في شعر الغزل

الأموي، العذري والماجن:

1 . الغزل العذري (البدوي):

شاع هذا النوع من الغزل في بني عذرة، أي في البادية. وهو شعر وجداني ولا يذكر المفاتن الجسدية للمحبوبة، ولا يذكر الشاعر مواعيده الغرامية معها. إنما يحاور طيفها، ويذكرها بوعدها الذي قطعته على نفسها وأخلفته، ويصف لوعته واشتياقه للقائها، وما فعله البعاد به، من هزال وجنون.

والغزل العذري من الفنون الشعرية التي تنمو فيها حرارة العواطف الطاهرة العفيفة التي يستخدمها الشاعر لإبراز مكابد العشق وآلام الفراق والبُعدِ عن الحبيبة

2 . القيم في الغزل البدوي العفيف (العذري):

أ . الاكتفاء بمحبوبة واحدة:

"ويقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحا طويلا من حياته"[1]. وعُرِفَ الشاعر جميل بن معمر بحبه لامرأة واحدة وهي بثينة، "حتى اشتهر بها فسمي

---

1 . أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ط3، (د.ت)، القاهرة، ص: 142.

جميل بثينة. وكان في زمانه إمام العشاق العذريين غير مدافع"[1]. فها هو يجهر باسم حبيبته بثينة حيث أنه من المفروض سرا لا علَنا:

لا لا أَبُوحُ بِحُبِّ بُثَيْنَةَ إِنَّهَا**أَخَذَتْ عَلَيَّ مَوَاثِقاً وعُهُوداَ[2]

ب . العفة والطهارة:

عُرِف الشعر العذري بعفته، ونأيه عن الألفاظ التي تخدش الحياء، فهو يستعطف الحبوب ويتودد له، ولا يبتغي منه إلا الوعد بالوصال ولو كذباً فـ "هو غزل طاهر يصور فيه الشاعر مكابدة العشق وألم البُعد عن الحبيبة ولا يحفل فيه بجمال المرأة الجسدي بقدر ما يحفل بقوة أسرها وجاذبيتها، ويقتصر فيه على محبوبة واحدة يخلص لها طول حياته"[3]

فشعرهم بعيد عما يأجج الغرائز، مقصده عفيف، يخاطب الروح والوجدان "فهو المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معا، والتي وجدت أن هذا التعويض الفني هو خير ما تطفئ به لهبها وتتسامى له غرائزها"[4] قال جميل:

وتَثَاقَلَتْ لَمَّا رَأَتْ كَلَفِي بِهَا**أَحْبِبْ إِلَيَّ بِذاكَ مِنْ مُتَثَاقِلِ[5]

وقال أيضا:

---

1 . عباس محمود العقاد، جميل بثينة، ص: 05.

2 . المرجع السابق، ص:26.

3 . سمير بكر، المعجم الأدبي الجديد . دراسة، سمعة الطلعة للنشر، ط4، (د.ت)، لبنان، ص:36.

4 . شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرئ القيس إلى ابن ربيعة، دار الملايين، بيروت ط5، 1996، ص: 237.

5 . عباس محمود العقاد، جميل بثينة، ص:143.

لاَ حُسْنُهاَ حُسْنٌ ولاَ كَدَلاَلِهاَ**دَلٌّ ولاَ كَوَقَـــارِهاَ تَوْقِيـرُ[1]

ج : الحزن والتشاؤم:

"عُرف الغزل العذري بالنزعة التشاؤمية لأن الشاعر العذري يصف كل أحزانه وآلامه، فعندما يكشف أهل المحبوبة حب الشاعر لها يضطرون إلى الرحيل أو طرد الشاعر عن القبيلة وعدم تزوجها به، فيكمل طريقه بالترحال وقول أشعاره التي تسيطر عليها النزعة التشاؤمية والحزن والبكاء على الأطلال"[2]. فالشاعر لا يجد وصفا ثابتا لحالته، فقد يكون مسحورا بها، أو مجنون، إذ قال[3]:

هيَ السِّحْرُ إلاَّ أَنَّ للسِّحْرِ رُقْيَةً**وإنِّي لا أَلْقَى لَهاَ الدَّهرُ راَقِياَ

وأكد ذلك أوثق التأكيد حين حاول نفيه:

يقولُون مَسْحُورٌ يَجِنُّ بذِكْرِها**ولأُقْسِمُ ماَ بِي من جُنُونٍ ولا سِحرِ

2 . الغزل الحضري الإباحي (العمري):

أ . تعدد الحبيبات:

"الشعراء الحضريون تغيب عنهم صفة الحب، فهم محبوبون وأكثر منهم محبين، الشاعر لا يقتصر على محبوبة واحدة وتتعدد في شعره أسماء النساء ما يدل على عدم صدق العاطفة وعلى الميل إلى العبث واللهو"[4]فمرة هندُ وأخرى سعاد، وبعدها حميدة.

---

1 . المرجع نفسه، ص: 140.

2 . أحمد حسين صبوة، الغزل العذري في العصر الأموي، دار المعارف، ط3، (د.ت)، القاهرة، ص:12.

3 . عباس محمود العقاد، جميل بثينة، ص: 38.

4 . سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، ص: 20

ب ـ كثرة المغامرات العاطفية:

هذا الغزل الحضري هو الذي يصدر عن تعلق الشاعر بامرأة تستهويه فيتودد إليها ويتغنى بمحاسنها وقد يصور حرقته وألمه وشوقه، وعنف حبه ولكن هذا الحب يفتقر للعفة والإخلاص، فهذا الحب قد تتبدل عواطفه فلا يستقر على حبه بل سرعان ما يمضي عنه إلى حب جديد وغيرهما. يقول الشاعر المجون عمرو بن أبي ربيعة[1]:

قُـلْتُ فإنِّي هـــــاَئِمٌ ** صبٌّ بِكُمْ مُكَلَّفُ

قالَتْ بلْ أَنتَ مازِحٌ**ذُو مـــــلَّةٍ تَحْلِـــفُ

لسناَ وإنْ حَدَّثتَنَـــا**يغُـــــرُّناَ ما تحـلِفُ

فهو مخلف لوعده لا يُؤتمنُ، لأنه غير وفيٍّ في علاقاته، وهذا عهده بجميع حبيباته، حيث جاء في البيت الأول (صبٌّ بِكُمْ) فهن كثيرات.

جـ ـ صورة المرأة العاشقة لا المعشوقة:

يظهر الشاعر الماجن حبيبته بصورة المرأة المستهترة، اللعوب، التي تعيش حياة مترفة تقضي فيها أوقاتا من اللهو مع الشاعر، ثم ينتقل إلى غيرها "إنه غزل واقعي، يعكس نفسية المرأة وحياتها المترفة"[2]. يقول الشاعر عمرو بن أبي ربيعة[3]:

ليتَ هِنْداً أَنْجَزَتْناَ ماَ تَعِدْ**وشَفَتْ أَنْفُسَناَ مِمَّا تَجِدْ

واسْتَبَدَّتْ مَرَّةً واَحِدَةً**إنماَ العاَجِزُ من لاَ يَسْتَبِدُ

---

1 . سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، ص: 30، 31.

2 . المرجع نفسه، ص20.

3 . المرجع نفسه، ص: 31.

د . التصوير الحسي للمرأة:

هو شعر "نشأ في الحجاز ونال شعراؤه نصيبهم من ترف الحياة، فجاءت أوصافهم مادية حسية غير وجدانية"[1]. يقول عمرو بن أبي ربيعة[2]:

أسُعَيْدُ ماَ ماءُ الفُراَتِ وَطَيْبُهُ**مِناَّ على ظَمَإٍ وفَقْدِ شَراَبِ

بِأَلَذَّ مِنْكِ وإِنْ ناَيْتُ وَقَلَّماَ**تَرْعَى النِّساَءُ أَماَنَةَ الغُيَّابِ

1 المرجع نفسه، ص20.

2 . عمرو بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فايز محمد، دار الكتاب العربي(شعراؤنا)، بيروت، ط2، 1996، (مرَّ بي سِرْبُ ظِباَءٍ)، الديوان.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا – الكتب:

1. إحسان عبّاس، ديوان شعر الخوارج، دار الشروق، بيروت، ط 4، 1982.

2. أحمد حسين صبوة، الغزل العذري في العصر الأموي، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).

3. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 2، 1954.

4 . أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط3، القاهرة، (د.ت).

5. أديب اللجمي، والبشير بن سلامة، وشحاذة الخوري، عبد اللطيف عبيد، المحيط معجم اللغة العربية، مراجعة أديب اللجمي، ونبيلة الحزار في التقديم، (د.ط)، (د.ت).

6. الأصفهاني، الأغاني، شرح الأستاذ عبد علي مهنا، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.

7. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.

8. جلال الدين السيوطي، المزْهِرْ في علوم اللغة وأنواعها، محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، 1325 هـ.

9. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جامعة بغداد، بغداد، ط2، 1993.

10. جورج غريب، الجاهلية فن وأدب وتاريخ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978.
11. الحامد عبد الله، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام، مطابع الإشعاع التجارية الرياض، 1402هـ، 1981.
12. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1979.
13. حياة محمد جبريل، الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 2002.
14. ديوان الأخطل، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الوفاق، بيروت، ط2، 1979.
15. ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ. مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت.
16. ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق عزة حسن، وزارة الثقافة، دمشق، 1956.
17. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996.
18. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت.
19. سراج الدين محمد، الغزل في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت (د.ت).
20. سمير بكر، المعجم الأدبي الجديد. دراسة، سمعة الطلعة للنشر، ط4، لبنان، (د.ت).
21. سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، ط1، بيروت، 2009.
22. السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، مطبعة الجمالية، القاهرة، 1914.

23. ابن الشجري، مختارات شعراء العرب، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

24. شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرئ القيس إلى ابن ربيعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1996.

25. شوقي ضيف، الحب العذري عند العرب، الدار المصرية اللبنانية، دار نوبار للطباعة، ط1، القاهرة، 1999.

26. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1976.

27. زبير دراقي، المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

28. الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2002.

29. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009.

30. الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني)، شرح المعلقات السبع، دراسة وتقديم وتعليق: سامي محمد، دار طيبة للطباعة ، ط1، الناشر: مكتبة النافذة، مصر، 2007.

31. الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى)، أدب الكتاب، نسخه وعني بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية بمصر، القاهرة، 1341 هـ.

32. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

33. عباس محمود العقاد، جميل بثينة، دار المعارف، ط6، القاهرة، (د.ت).

34. ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

35. أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: بيقان، مطبعة بريل، لندن، 1905.

36. العلوي (يحي بن حمزة)، كتاب الطراز، المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق والإعجاز، العلوم البحثي، دار الكتاب العلمية، بيروت (د.ت).

37. عمر رضا حكالة، معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993.

38. علي البيهي، قضايا في أدب الجاهلية ـ دراسة نقدية، زاوية للفن والثقافة، المغرب، ط1، 2006.

39. علي فهمي موستاري، حُسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، دار سعادت، طهران، 1324 هـ.

40. غازي طليمات وعرفان الأشقر، الأدب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه)، دار الرشاد، حمص، سوريا، ط1، 1992.

41. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، راجعه واعتنى به، أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008.

42. فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ط3، 1961.

43. ابن كثير، البداية والنهاية، إشراف الشيخ عبد القادر الأرناؤوط والدكتور بشار عواد معروف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2015.

44. المبرد، الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1997.

45. محمد إسماعيل الصاوي، شرح ديوان جرير، مطبعة الصاوي، القاهرة (د.ت).
46. محمد الأمين، ظاهرة النقائض في الشعر الأموي ـ مدخل عام ـ أنفو برانت، فاس (المغرب)، ط1، 1999.
47. محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2007.
48. محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرحه: محمد محمود شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، .1974
49. محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، بيروت، ط 1، 2009.
50. محمد علي الصباح، عنترة بن شداد، حياته وشعره، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.
51. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2000.
52. المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1980.
53. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط3، .2004
54. نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس، بيروت، ط1، .2016
55 ـ ابن هشام، السيرة، دار الصحابة للتراث بطنطا للنشر والتوزيع والتحقيق، مصر، ط1، 1995.
56. الواقدي محمد بن عمر، فتوح الشام، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

57. يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، ط2، 2010.

ثانيا – الرسائل الجامعية:

58. سعيدة علي عبد الواحد، بنية القصيدة الجاهلية: دراسة فنية موضوعية، رسالة ماجستير (مخطوط)، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2007.

ثالثا – المجلات والدوريات:

59. حنفي محمد مصطفى، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد 8 العدد 1، ديسمبر 2004.

60. سعيد أحمد غراب، الفكر السياسي في الشعر الأموي، المحتوى والفن، حولية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، القاهرة، المجلد 34، العدد 4، سنة 2014.

61. عبد الغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، عدد 37، ديسمبر 1989.

62. علي الحربي، فيصل أحمد فيصل عبد الحميد، العصبية القبلية سلوك فردي أم ظاهرة اجتماعية وسياسية، جريدة المقدمة، جريدة الدراسات العليا دراسات إسلامية، (التاريخ والحضارة)، جامعة الملايا، العدد:5، جوان 2017.

رابعا – المواقع الإلكترونية:

63. محمد الهادي حاجي، النزعة القبلية في علم الاجتماع

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=708157.

فهرس الموضوعات

تقديم: 02

المحاضرة الأولى: النزعة القبلية في الشعر الجاهلي 03

1. مفهوم النزعة لغة: 03

2. مفهوم النزعة القبلية: 03

3. النزعة القبلية في الشعر: 05

4. ملخص مظاهر العصبية القبلية: 08

5. النزعة القبلية في صدر الإسلام: 09

المحاضرة الثانية: (عالم القيم في الجاهلية: السموأل) 10

. توطئة: 10

. القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي: 10

1 . الكرم: 11

2. الشجاعة: 14

3 . العفة: 14

4 . الوفاء: 14

المحاضرة الثالثة: النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي 18

1 . مظاهر النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي: 19

2 . أسباب الخروج عن القبيلة: 20

المحاضرة الرابعة: بنية القصيدة الجاهلية (المعلقة) 24

توطئة: 24

1- العرب والشعر: 24

2- سبب تسميتها: 26
3- بناء القصيدة العربية الجاهلية (المعلقة): 28
1 . المطلع: 28
2 . مفتاح القصيدة: 29
3 . التخلص: 31
4 . الهيكل: 33
5 . خاتمة القصيدة: 33
المحاضرة الخامسة: أغراض القصيدة العربية القديمة 35
1 . غرض الغزل: 35
2 . غرض الحماسة: 36
3 . غرض الفخر: 38
4 . غرض المدح: 40
5 . غرض الهجاء: 41
6 . غرض الرثاء: 42
أ . الندب: 43
ب . التأبين: 43
ج . العزاءُ: 43
7 . غرض الوصف: 44
8. غرض الحكمة: 46
المحاضرة السادسة: مواطن التطور في القصيدة الجاهلية 47
توطئة: 47

1. مراحل تطور الشعر: 47
2. أسبقية قرض الشعر: 49
المحاضرة السابعة: شعر الصعاليك والخروج على نموذج القصيدة القبلية 51
1. تعريفها: 51
2- ميزاتهم وخصالهم: 51
3. أسباب الصعلكة: 54
4. مشاهير الصّعاليك: 55
5. شعر الصعاليك، وخصائصه: 56
1. الوحدة الموضوعية: 57
2. ظاهرة التخلص من المقدمات الطللية: 58
3. ظاهرة عدم التصريع في قصيدة الصعلكة: 58
4. التحلل من الشخصية القبلية: 59
5. القصصية: 59
6. الواقعية في شعر الصعاليك: 60
7. السرعة الفنية: 60
8. الخصائص اللغوية: 61
9. الخصائص العروضية: 61
المحاضرة الثامنة: الإسلام والشعر 62
. توطئة: 62
1. رأي القرآن الكريم من الشعر والشعراء: 62

2 . موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر: 65
3 . موقف الخلفاء الراشدين من الشعر: 69
المحاضرة التاسعة: شعر الدعوة 73
. توطئة: 73
1. شعراء الدعوة الإسلامية: 73
المحاضرة العاشرة: الأغراض الشعرية الجديدة (صدر الإسلام) 76
. توطئة: 76
. الأغراض الشعرية الجديدة في صدر الإسلام: 77
1. غرض الوعظ الديني: 77
2 . غرض الجهاد والفتوحات: 79
3. غرض الرثاء والعزاء: 82
4 . غرض تأريخ الأحداث: 86
5. غرض الفخر والمديح: 87
6. الهجاء والنقائض: 91
المحاضرة الحادية عشر: شعراء الأحزاب الإسلامية 93
توطئة: 93
. الأحزاب السياسية: 94
1 . الزبيريون: 94
2 . الخوارج: 97
3 . الشيعة: 99
3. الأمويون: 101

المحاضرة الثانية عشر: النقائض، موضوعاتها وخصائصها: 105
1 . النقائض لغة: 105
2 . النقائض اصطلاحا: 105
3 . شروط النقيضة: 105
4. كيفية التناقض: 107
5. مثال عن مناقضة شاعرين: 107
المحاضرة الثالثة عشر: الشعر الغزلي في العصر الأموي: 110
1. تعريف الغزل لغة: 110
2 . تعريف الغزل اصطلاحا: 111
3. الغزل في العصر الأموي: 112
1 . الغزل العذري: 112
2 . الغزل الماجن: 114
المحاضرة الرابعة عشرة: جدل القيم (البداوة والحضارة) 116
1 . الغزل العذري (البدوي): 116
2 . القيم في الغزل البدوي العفيف (العذري): 116
أ . الاكتفاء بمحبوبة واحدة: 116
ب . العفة والطهارة: 117
ج : الحزن والتشاؤم: 118
2 . الغزل الحضري الإباحي (العمري): 118
أ . تعدد الحبيبات: 118

ب ـ كثرة المغامرات العاطفية: 119

جـ ـ صورة المرأة العاشقة لا المعشوقة: 119

د ـ التصوير الحسي للمرأة: 120

قائمة المصادر والمراجع 121

فهرس الموضوعات 127

فهرس الموضوعات 128